نَصْبُ الْأَوْتَادِ

فِي بيانِ خُطورة الإلحَاد



الشيخ سيد عبد العاطي

اصدار موسوعة اعرف دينك للعلوم الشرعية

نَصْبُ الْأَوْتَادِ

فِي بَيَانِ خُطُورَةِ الْإِلْحَادِ

الشيخ

سيد عبد العاطي



إصدار موسوعة اعرف دينك للعلوم الشرعية

بسم الله الرحمن الرحيم

الحَمْدُ للهِ عَلَى مَا لَهُ مِنَ الْأَسْماءِ الحُسْنَى، وَالصِّفَاتِ الْكَامِلَةِ الْعَظِيمَةِ الْمُثْلَى،وَعَلَى آثَارِهَا الشَّامِلَةِ للأُولَى وَالْأُخْرَى،وَأُصَلِّي وَأُسَلِّمُ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ–صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–أَجْمَعِ الخَلْقِ لِكُلِّ وَصْفٍ حَمِيدٍ، وَخُلُقٍ رَشِيدٍ،وَقَوْلٍ سَدِيدٍ،وَعَلَى أصْحَابِهِ وَأَتْبَاعِهِ مِنْ جَمِيعِ الْعَبِيدِ .أَمَّا بَعْدُ• :فَإِنَّ مِنْ أَعْظَمِ الْأَزَمَاتِ،وَأَشَدِّ الرَّزَايَا وَالْبَلِيَّاتِ،الَّتِي ابْتُلِيَتْ بِهَا أُمَّةُ الْإِسْلَامِ فِي وَاقِعِهَا الْمَرِيرِ،أَزْمَةُ الْإِلْحَادِ الَّذِي بَاتَ يَنْتَشِرُ فِي صُفُوفِ الشَّبَابِ،مُهَدِّدًا الْعَقَائِدَ وَالْقِيَمَ وَالثَّوَابِتَ،وَنَاشِرًا الْإِبَاحِيَةَ وَالشُّذُوذَ وَالرَّذِيلَةَ،وَرَافِضًا الْعِفَّةَ وَالحَيَاءَ وَالْفَضِيلَةَ، رَاغِبًا فِي الانْفِلَاتِ مِنْ كُلِّ قَيْدٍ،مُكَذِّبًا للهِ تَعَالَى مُتَطَاوِلًا عَلَى رَسُولِهِ الْخَاتَمِ–صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–،مُكَذِّبًا بِالْبَعْثِ وَالجَنَّةِ وَالنَّارِ،مُهَدِّدًا لأَمْنِ الْمُجْتَمَعَاتِ وَأَمَانِهَا،لِذَا كَانَ لِزَامًا عَلَى أَهْلِ الْعِلْمِ أَنْ يَتَصَدَّوا إِلَى هَذَا الْفِكْرِ الضَّالِّ بِبَيَانِ خُطُورَتِهِ وَتَفْنِيدِ شُبُهَاتِ أَهْلِهِ وَأَتْبَاعِهِ مَعَ بَيَانِ أَسْبَابِهِ وَطُرُقِ عِلَاجِهِ،مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ صَنَّفْتُ هَذِهِ الرِّ سَالَةَ وَعَنْوَنْتُ لَهَا بِهَذَا الْعُنْوَانِ{،نَصْبُ الْأَوْتَادِ فِي بَيَانِ خُطُورَةِ الْإِلْحَادِ }،هَذَا وَقَدْ حَانَ أَوَانُ الشُّرُوعِ فِي الْمَقْصُودِ فَأَقُولُ وَبِاللَّهِ التَّوْفِيقُ:



•أَوَّلًا:تَعْرِيفُ الْإِلْحَادِ:

- (أ)الْإِلْحَادُ لُغَةً:

-يَدُورُ الْمَعْنَى اللُّغَوِيّ للإلْحَادِ حَوْلَ الْمَيْل عَنِ الاسْتِقَامَةِ قَالَ ابْنُ فَارِسٍ-رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى-:{ اللَّامُ وَالْحَاءُ وَالدَّالُ أصْلٌ يَدُلُّ عَلَى مَيْلٍ عَنِ اسْتِقَامَةٍ. يُقَالُ: أَلْحَدَ الرَّجُلُ، إذَا مَالَ عَنْ طَرِيقَةِ الحَقّ وَالْإِيمَانِ. وَسُمِّي اللَّحْدُ لأَنَّهُ مَائِلٌ فِي أحَدِ جَانِبِي الْجَدَثِ. يُقَالُ: لَحَدْتُ الْمَيّتَ وَأَلْحَدْتُ. وَالْمُلْتَحَدُ: الْمَلْجَأُ، سُمِّيَ بِذَلِكَ لأنَّ اللَّاجِئَ يَمِيلُ إلَيْهِ }.(انْظُرْ:مَقَايِيس اللُّغَة لابْنِ فَارِس:٥/٢٣٦).

-وَقَالَ الْأَزْهَرِيُّ-رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى-:{ مَعْنَى الْإلْحَادِ فِي اللُّغَةِ: الْمَيْلُ عَنِ الْقَصْدِ. وَقَالَ اللَّيْثُ: ألْحَدَ فِي الْحَرَمِ إذَا تَرَكَ الْقَصْدَ فِيمَا أُمِرَ بِهِ وَمَالَ إلَى الظُّلْمِ وَأنْشَدَ:

لَمَّا رَأى الْمُلْحِدُ حِينَ أَلْحَمَا صَوَاعِقَ الْحَجَّاجِ يَمْطُرْنَ دَمَا }.

(انْظُرْ:تَهْذِيب اللُّغَة للأزْهَرِيّ:٢/٧٣).

(ب)الْإلْحَادُ شَرْعًا:

-الْإلْحَادُ شَرْعًا: هُوَ الْعُدُولُ عَنِ الاسْتِقَامَةِ وَالانْحِرَافُ عَنْهَا،وَأَلْحَدْتُ: مَارَيْتُ وَجَادَلْتُ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى:{ وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ }.(الحجّ:٢٥) أَيْ: انْحِرَافًا بِظُلْمٍ، وَقَدْ أَلْحَدَ فِي الْحَرَمِ: تَرَكَ الْقَصْدَ فِيمَا أُمِرَ بِهِ وَمَالَ إلَى الظُّلْمِ، وَألْحَدَ فِي الْحَرَمِ: أشْرَكَ باللَّهِ تَعَالَى، وَقِيلَ: الْإلْحَادُ فِيهِ: الشَّكُّ فِي اللَّهِ، وَأصْلُ الْإلْحَادِ الْمَيْلُ وَالْعُدُولُ عَنِ الشَّيءِ، وَ لَاحَدَ فُلَانٌ فُلَانًا: اعْوَجَّ كُلٌّ مِنْهُمَا عَلَى صَاحِبِهِ وَمَالَا عَنِ الْقَصْدِ. وَالْمُلْتَحَدُ: الْمُلْتَجَأُ وَ الْمَلْجَأ، أيْ لأنَّ اللَّاجِئَ يَمِيلُ إلَيْهِ، قَالَ تَعَالَى: { وَلَنْ أَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَدًا }.(الجنّ:٢٢).

-فَالْإلْحَادُ مَذْهَبٌ فِكْرِيٌّ يَنْفِي وُجُودَ خَالِقِ الْكَوْنِ ،وَأَحْكَامَ الدِّينِ ،وَالتَّطَاوُلَ عَلَى الثَّوَابِتِ،فَكُلُّ تَرْكٍ للدِّينِ وَهَجْرٍ لأحْكَامِهِ هُوَ نَوْعُ إلْحَادٍ، وَمِنْ ثَمَّ فَالْإلْحَادُ يَشْمَلُ كُلَّ أنْوَاعِ الْكُفْرِ وَالشِّرْكِ بِاللَّهِ تَعَالَى، وَالْمَيْلَ وَالْحَيْدَةَ عَنْ أوَامِرِهِ وَأحْكَامِهِ جَلَّ وَعَلَا، وَالتَّجَرُّؤ عَلَى نَوَاهِيهِ سُبْحَانَهُ.



•ثَانِيًا:أقْسَامُ الْإلْحَادِ:

-يَنْقَسِمُ الْإلْحَادُ إلَى ثَلَاثَةِ أقْسَامٍ:

(١)الْقِسْمُ الْأوَّل: الْإلْحَادُ الْإنْكَارِيُّ :

-وَهُوَ الْإلْحَادُ الْكَامِلُ:وَهُوَ لِفِئَةٍ قَرَأتْ وَتَعَمَّقَتْ فِي دِرَاسَةِ وُجُودِ الْخَالِقِ بَعِيدًا عَنِ الضَّوَابِطِ الشَّرْعِيَّةِ لِتَحْصِيلِ الْعِلْمِ فَوَصَلَتْ إلَى إنْكَارِ وُجُودِهِ ، وَبِالتَّالِي رَفْضِ الدِّين جُمْلَةً وَتَفْصِيلًا وَرَفْضِ كُلِّ مَا يَتَعَلَّقُ بِهِ، وَهَذَا النَّوْعُ مُخْرِجٌ عَنِ الْمِلَّةِ لأنَّهُ أوْجَبَ الْكُفْرَ.

•مَعَ التَّنْبِيهِ عَلَى أنَّ الْمُشْرِكِينَ الَّذِينَ بُعِث فِيهِمُ النَّبِيُّ–صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–لَمْ يُنْكِرُوا تَوْحِيدَ الرُّبُوبِيَّةِ، بَلْ كَانُوا مُقِرِّينَ بِهِ كَمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : { وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ }.(الزُّخرف: ٩).

-قَالَ الْعَلَّامَةُ ابْنُ الْقَيِّم–رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى–فِي إغَاثَةِ اللَّهْفَان :١٠١٦/٢:{ وَعُبَّادُ الْأصْنَامِ كَانُوا يُثْبِتُونَ رَبًّا،خَالِقًا،مُبْدِعًا،عَالِمًا،قَادِرًا،حيًّا }.

-أمَّا فِي الْقَدِيمِ فَقَدْ أنْكَرَتْ طَوَائِفٌ مِنْ بَنِي آدَمَ تَوْحِيدَ الرُّبُوبِيَّةِ، وَعَطَّلَتِ الْمَخْلُوقَ عَنْ خَالِقِهِ، وَهَذِهِ الطَّوَائِفُ هِيَ:

(أ)الدَّهْرِيَّةُ:

-قَالَ الْعَلَّامَةُ ابْنُ الْقَيِّم–رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى–فِي إغَاثَةِ اللَّهْفَان:٩٩٩/٢:{ وَهَؤلَاءِ قَوْمٌ عَطَّلُوا الْمَصْنُوعَاتِ عَنْ صَانِعِهَا–وَالْأفْضَلُ أنْ نَقُولَ عَطَّلُوا الْمَخْلُوقَاتِ عَنْ خَالِقِهَا لأنَّ الصَّانِعَ لَيْسَ مِنْ

أسْمَاءِ اللَّهِ وَإِنْ كَانَ يَجُوزُ فِي بَابِ الْإِخْبَارِ–،وَقَالُوا مَا حَكَاهُ اللَّهُ عَنْهُمْ: {وَقَالُوا مَا هِيَ إِلاَّ حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلاَّ الدَّهْرُ }.(الجاثية: ٢٤).

–قَالَ الْحَافِظُ ابْنُ كَثِيرٍ–رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى–فِي تَفْسِيرِ الْآيَةِ السَّابِقَةِ مَا مُلَخَّصَهُ:{ يُخْبِرُ تَعَالَى عَنْ قَوْلِ الدَّهْرِيَّةِ مِنَ الْكُفَّارِ ، وَمَنْ وَافَقَهُمْ مِنْ مُشْرِكِي الْعَرَبِ فِي إِنْكَارِ الْمَعَادِ :{ وَقَالُواْ مَا هِيَ إِلاَّ حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا } أَيْ : مَا ثَمَّ إِلَّا هَذِهِ الدَّارُ ، يَمُوتُ قَوْمٌ وَيَعِيشُ آخَرُونَ ، وَمَا ثَمَّ مَعَادٌ وَلَا قِيَامَةٍ . وَلِهَذَا قَالُوا :{وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا.

الدَّهْرُ}أَيْ :إِلَّا مُرُورُ الْأَيَّامِ وَاللَّيَالِي فَكَابَرُوا الْمَعْقُولَ وَكَذَّبُوا الْمَنْقُولَ }.انْتَهَى.

–وَقَالَ الدَّهْرِيُّونَ عَنِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا:إِنْ هِيَ إِلَّا أَرْحَامٌ تَدْفَعُ وَأَرْضٌ تَبْلَعُ وَلَيْسَ وَرَاءَ ذَلِكَ شَئٍ مُنْكِرِينَ بِذَلِكَ الْبَعْثَ بَعْدَ الْمَوْتِ وَمُكَذِّبِينَ للشَّرْعِ وَالْفِطْرَةِ وَالْعَقْلِ.

(ب) الطَّبَائِعِيُّونَ:

–قَالَ الْإِمَامُ ابْنُ الْجَوْزِيُّ–رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى–فِي تَلْبِيس إِبْلِيس:٢/٣٠٧:{ لَمَّا رَأى إِبْلِيسُ قِلَّةَ مُوَافِقِيهِ عَلَى جَحْدِ الصَّانِعِ–الْخَالِقِ–؛لِكَوْنِ الْعُقُول شَاهِدَة بِأنَّهُ لَا بُدَّ للمَصْنُوعِ مِنْ صَانِعٍ، حَسَّنَ لأقْوَامٍ أنَّ هَذِهِ الْمَخْلُوقَاتِ مِنْ فِعْلِ الطَّبِيعَةِ }.

(ج) الْفَلَاسِفَةُ:

–ذَهَبَ بَعْضُ الْفَلَاسِفَةِ إِلَى أَنَّهُ لَا صَانِع للعَالَمِ، وَأطْلَق عَلَيْهِمْ شَيْخُ الْإِسْلَامِ ابْنُ تَيْمِيَّةَ–رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى– :{ دَهْرِيَّة الْفَلَاسِفَةِ }.(انْظُرْ:شَرْح الْعَقِيدَة الْأصْفَهَانِيَّة، ص٤٤).

–قَالَ الْعَلَّامَةُ ابْنُ الْقَيِّم–رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى– بَعْدَ حَدِيثِهِ عَنْ فِرَقِ الْفَلَاسِفَةِ:{ وَبِالْجُمْلَةِ فَمَلَاحِدَتُهُمْ: هُمْ أهْلِ التَّعْطِيلِ الْمَحْضِ؛ فَإِنَّهُمْ عَطَّلُوا الشَّرَائِعَ، وَعَطَّلُوا الْمَصْنُوعَ عَنِ الصَّانع، وَعَطَّلُوا الصَّانِعَ عَنْ صِفَاتِ كَمَالِهِ }.(انْظُر:إغَاثَة اللَّهْفَان:٢/١٠١٦).

-وَأخْبَرَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْ فِرْعَوْنَ جَحْدَهُ لِهَذَا التَّوْحِيدِ وَمُنَازَعَتَهُ للهِ فِيهِ كَمَا قَالَ تَعَالَى عَنْهُ:{ فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الأَعْلَى }.(النَّازعات:٢٤)، وَقَالَ سُبْحَانَهُ عَنْهُ أيْضًا:{ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إلَهٍ غَيْرِي }.(القصص: ٣٨).

-قَالَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ ابْنُ تَيْمِيَّةَ-رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى-:{ أَشْهَرُ مَنْ عُرِفَ تَجَاهُلُهُ وَتَظَاهُرُهُ بِإِنْكَارِ الصَّانِعِ فِرْعَوْنُ، وَقَدْ كَانَ مُسْتَيْقِنًا فِي الْبَاطِنِ كَمَا قَالَ لَهُ مُوسَى-عَلَيْهِ السَّلَامُ-: { قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا أَنزَلَ هَؤُلاءِ إلاَّ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ بَصَائِرَ }.(الإسراء: ١٠٢)، وَقَالَ تَعَالَى عَنْهُ وَعَنْ قَوْمِهِ:{ وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا }.(النَّمل: ١٤).(انْظُرْ:مَجْمُوع الْفَتَاوى: ٤/٢٤٥).

•وَأَمَّا فِي الْحَدِيثِ:فَقَدْ ظَهَرَ الْإِلْحَادُ مِنْ خِلَالِ مَا يَلِي:

•الْمَذَاهِب الْفَلْسَفِيَّة الَّتِي ظَهَرَتْ فِي الْغَرْبِ، ثُمَّ انْتَقَلَتْ إِلَى الشَّرْقِ، وَمِنْهَا:

(أ) الشُّيُوعِيَّة:

-وَهِيَ مَذْهَبٌ فِكْرِيٌّ يَقُومُ عَلَى الْإِلْحَادِ وَإِنْكَارِ الْخَالِقِ، وَيَعْتَبِرُ الْمَادَّةَ أَسَاسَ كُلِّ شَيءٍ. وَقَدْ وَضَعَ أُسُسَهُ الْفِكْرِيَّةَ وَالنَّظَرِيَّةَ (كَارْل مَارْكِس) الْيَهُودِيّ الْأَلْمَانِيّ (١٨١٨ – ١٨٨٣م).(انْظُرْ:الموسوعة الميسّرة في الأديان والمذاهب المعاصرة: ٢/٩٢٩).

(ب)الْوُجُودِيَّةُ:

-وَهِيَ مَذْهَبٌ فِكْرِيٌّ يَقُومُ عَلَى الْإِلْحَادِ وَإِنْكَارِ الْخَالِقِ، وَيُعْتَبِرُ الْوُجُودُ الْإِنْسَانِيُّ هُوَ الْمُشْكِلَةُ الْكُبْرَى، وَالتَّجْرُبَةُ الْإِنْسَانِيَّةُ هِيَ مَنْبَعُ الْمَعْرِفَةِ وَأَسَاسُ الْبَحْثِ عِنْدَهُمْ.(انْظُرْ:الموسوعة الميسّرة: ٢/٩٧٨).

(ج)الْمَذَاهِبُ الْبَاطِنِيَّةُ:

-وَالْعُلَمَاءُ يُطْلِقُونَ اسْمَ الْبَاطِنِيَّةِ عَلَى عِدَّةِ فِرَقٍ: كَالْقَرَامِطَةِ، وَالنُّصَيْرِيَّةِ،وَالْإِسْمَاعِيلِيَّة، وَالْقَادْيَانِيَّة، وَالْبَهَائِيَّةِ... وَغَيْرِهَا.

-قَالَ الْبَغْدَادِيُّ:{ ذَكَرَ أَصْحَابُ التَّوَارِيخِ أَنَّ الَّذِينَ وَضَعُوا أَسَاسَ دِينِ الْبَاطِنِيَّةِ، كَانُوا مِنْ أَوْلَادِ الْمَجُوسِ، وَكَانُوا مَائِلِينَ إِلَى دِينِ أَسْلَافِهِمْ، وَلَمْ يَجْسُرُوا عَلَى إِظْهَارِهِ خَوْفًا مِنْ سُيُوفِ الْمُسْلِمِينَ، فَوَضَعَ الْأَغْمَارُ مِنْهُمْ أُسُسًا: مَنْ قَبِلَهَا صَارَ فِي الْبَاطِنِ إِلَى تَفْضِيلِ أَدْيَانِ الْمَجُوسِ،وَتَأَوَّلُوا آيَاتِ الْقُرْآنِ وَسُنَنَ النَّبِيّ-صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-مُوَافَقَةً عَلَى أُصُولِهِمْ }.(انْظُرْ:الموسوعة الميسّرة: ٩٧٨/٢).

(٢)الْقِسْمُ الثَّانِي:الْإِلْحَادُ الرَّافِضُ :

-وَهُوَ إِلْحَادٌ جُزْئِيٌّ:وَهُوَ لِفِئَةٍ تَعْلَمُ أَنَّ الله تَعَالَى مَوْجُودٌ، لَكِنْ غَلَبَتْ عَلَيْهَا شِقْوَتُهَا وَبَاتَتْ تَتَصَرَّفُ كَأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى غَيْرُ مَوْجُودٍ، فَتَنْتَهِكُ الْمُحَرَّمَاتِ وَتَسْخَرُ مِنَ الدِّينِ،

وَهَذَا النَّوْعُ يُمْكِنُنَا أَنْ نُطْلِقَ عَلَيْهِ الْإِلْحَادَ الْكَاذِبَ، وَهُوَ مُخْرِجٌ عَنِ الْمِلَّةِ كَذَلِكَ، غَيْرَ أَنَّهُ فِي مَنْزِلَةٍ أَقَلّ مِنْ سَابِقَتِهَا.

(٣)الْقِسْمُ الثَّالِثُ:الْإِلْحَادُ فِي أَسْمَاءِ اللَّهِ تَعَالَى وَصِفَاتِهِ:

-وَقَدْ جَاءَ التَّصْرِيحُ بِهِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى : { وَلِلَّهِ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ }.(الأعراف: ١٨٠).

-وَهَذَا النَّوْعُ مِنَ الْإِلْحَادِ وَقَعَ فِي بَعْضِهِ طَوَائِفُ مُنْتَسِبَة إِلَى هَذِهِ الْأُمَّةِ: كَالْجَهْمِيَّةِ وَالْمُعْتَزِلَةِ وَالْأَشَاعِرَةِ ... وَغَيْرِهِمْ.

-وَقَدْ ذَكَرَ الْعَلَّامَةُ ابْنُ الْقَيِّم-رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى-خَمْسَةَ أَنْوَاعٍ للإلْحَادِ فِي أَسْمَاءِ اللَّهِ وَصِفَاتِهِ، وَهِيَ:

-الْأَوَّل:أَنْ يُسَمِّي الْأَصْنَامَ بِهَا، كَتَسْمِيَتِهِمُ اللَّات مِنْ الْإِلَه، وَالْعُزَّى مِنَ الْعَزِيزِ.

–الثَّانِي: تَسْمِيَتُهُ تَعَالَى بِمَا لَا يَلِيقُ بِجَلَالِهِ، كَتَسْمِيَةِ النَّصَارَى لَهُ أَبًا، وَتَسْمِيَةِ الْفَلَاسِفَةِ لَهُ مُوجِبًا بِذَاتِهِ أَوْ عِلَّةً فَاعِلَةً بِالطَّبْعِ... وَنَحْوِ ذَلِكَ.

–الثَّالِث: وَصْفُهُ تَعَالَى وَتَقَدَّس بِالنَّقَائِصِ؛ كَقَوْلِ الْيَهُودِ:إِنَّهُ فَقِيرٌ.وَقَوْلِهِمْ:إِنَّهُ اسْتَرَاحَ بَعْدَ أَنْ خَلَقَ خَلْقَهُ.وَقَوْلِهِمْ:يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَة. وَأَمْثَالِ ذَلِكَ مِمَّا هُوَ إِلْحَادٌ فِي أَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ.

–الرَّابِع: تَعْطِيلُ الْأَسْمَاءِ عَنْ مَعَانِيهَا وَجَحْدُ حَقَائِقِهَا؛ كَقَوْلِ مَنْ يَقُولُ مِنَ الْجَهْمِيَّةِ وَأَتْبَاعِهِمْ: إِنَّهَا أَلْفَاظٌ مُجَرَّدَةٌ لَا تَتَضَمَّنُ صِفَاتٍ وَلَا مَعَانٍ.

–الْخَامِس:تَشْبِيهُ صِفَاتِهِ بِصِفَاتِ خَلْقِهِ }.(انْظُرْ:مختصر الصَّواعق المرسلة:٢/١١٠).



•ثَالِثًا:تَحْذِيرُ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ مِنَ الْإِلْحَادِ:

–وَرَدَتْ آيَاتٌ كَثِيرَةٌ عَلَى مَائدَةِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ تُحَذِّرُ مِنَ الْإِلْحَادِ أَذْكُرُ مِنْهَا:

(١)قَالَ اللَّهُ تَعَالَى:{ وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَاۖ وَذَرُواْ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِيٓ أَسْمَٰٓئِهِۦۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ }. (الأعراف:١٨٠).

–قَالَ الْعَلَّامَةُ السَّعْدِيُّ–رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى–

فِي تَفْسِيرِهَا:{ هَذَا بَيَانٌ لِعَظِيمِ جَلَالِهِ وَسَعَةِ أَوْصَافِهِ، بِأَنَّ لَهُ الْأَسْمَاءَ الْحُسْنَى، أَيْ: لَهُ كُلُّ اسْمٍ حَسَنٍ، وَضَابِطُهُ: أَنَّهُ كُلُّ اسْمٍ دَالّ عَلَى صِفَةِ كَمَالٍ عَظِيمَةٍ، وَبِذَلِكَ كَانَتْ حُسْنَى، فَإِنَّهَا لَوْ دَلَّتْ عَلَى غَيْرِ صِفَةٍ، بَلْ كَانَتْ عَلَمًا مَحْضًا لَمْ تَكُنْ حُسْنَى، وَكَذَلِكَ لَوْ دَلَّتْ عَلَى صِفَةٍ لَيْسَتْ بِصِفَةِ كَمَالٍ، بَلْ إِمَّا صِفَة نَقْصٍ أَوْ صِفَة مُنْقَسِمَة إِلَى الْمَدْحِ وَالْقَدْحِ، لَمْ تَكُنْ حُسْنَى، فَكُلُّ اسْمٍ مِنْ أَسْمَائِهِ دَالٌّ عَلَى جَمِيعِ

الصِّفَةِ الَّتِي اشْتُقَ مِنْهَا، مُسْتَغْرِقٌ لِجَمِيعِ مَعْنَاهَا. وَذَلِكَ نَحْوَ الْعَلِيمِ الدَّالّ عَلَى أنَّ لَهُ عِلْمًا مُحِيطًا عَامًّا لِجَمِيعِ الْأَشْيَاءِ، فَلَا يَخْرُجُ عَنْ عِلْمِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ. وَ كَالرَّحِيمِ الدَّالِّ عَلَى أنَّ لَهُ رَحْمَةً عَظِيمَةً، وَاسِعَةً لِكُلِّ شَيءٍ. وَ كَالْقَدِيرِ الدَّالِّ عَلَى أنَّ لَهُ قُدْرَةً عَامَّةً، لَا يُعْجِزُهَا شَيءٌ، وَنَحْوَ ذَلِكَ. وَمِنْ تَمَامِ كَوْنِهَا (حُسْنَى) أنَّهُ لَا يُدْعَى إلَّا بِهَا، وَلِذَلِكَ قَالَ:{فَادْعُوهُ بِهَا} وَهَذَا شَامِلٌ لِدُعَاءِ الْعِبَادَةِ، وَدُعَاءِ الْمَسْألَةِ، فَيُدْعَى فِي كُلِّ مَطْلُوبٍ بِمَا يُنَاسِبُ ذَلِكَ الْمَطْلُوبَ، فَيَقُولُ الدَّاعِي مَثَلًا اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي وَارْحَمْنِي، إنَّكَ أنْتَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ، وَتُبْ عَلَيَّ يَا تَوَّابُ، وَارْزُقْنِي يَا رَزَّاقُ، وَالْطُفْ بِي يَا لَطِيفُ وَنَحْو ذَلِكَ. وَقَوْلُهُ: { وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ } أيْ: عُقُوبَةً وَعَذَابًا عَلَى إلْحَادِهِمْ فِي أسْمَائِهِ، وَحَقِيقَةُ الْإِلْحَادِ الْمَيْلُ بِهَا عَمَّا جُعِلَتْ لَهُ، إمَّا بِأنْ يُسَمِّى بِهَا مَنْ لَا يَسْتَحِقُّهَا، كَتَسْمِيَةِ الْمُشْرِكِينَ بِهَا لآلِهَتِهِمْ، وَإمَّا بِنَفْيِ مَعَانِيهَا وَتَحْرِيفِهَا، وَأنْ يَجْعَلَ لَهَا مَعْنَىً مَا أرَادَهُ اللَّهُ وَلَا رَسُولُهُ، وَإمَّا أنْ يُشَبِّهَ بِهَا غَيْرَهُ، فَالْوَاجِبُ أنْ يُحْذَرَ الْإِلْحَادُ فِيهَا، وَيُحْذَرَ الْمُلْحِدُونَ فِيهَا، وَقَدْ ثَبَتَ فِي الصَّحِيحِ عَنِ النَّبِيِّ-صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-:{ أنَّ لِلَّهِ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ اسْمًا، مَنْ أحْصَاهَا دَخَلَ الْجَنَّةَ }.

(٢)وَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى:{ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ٱلَّذِى جَعَلْنَٰهُ لِلنَّاسِ سَوَآءً ٱلْعَٰكِفُ فِيهِ وَٱلْبَادِ ۚ وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ نُّذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ }.(الحجّ:٢٥).

-قَالَ الْعَلَّامَةُ السَّعْدِيُّ-رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى-

فِي تَفْسِيرِهَا:{ يُخْبِرُ تَعَالَى عَنْ شَنَاعَةِ مَا عَلَيْهِ الْمُشْرِكُونَ الْكَافِرُونَ بِرَبِّهِمْ، وَأنَّهُمْ جَمَعُوا بَيْنَ الْكُفْرِ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ، وَبَيْنَ الصَّدِّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَمَنْعِ النَّاسِ مِنَ الْإِيمَانِ، وَالصَّدِّ أيْضًا عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ، الَّذِي لَيْسَ مِلْكًا لَهُمْ وَلَا لآبَائِهِمْ، بَلِ النَّاسُ فِيهِ سَوَاءٌ، الْمُقِيمُ فِيهِ، وَالطَّارِئُ إلَيْهِ، بَلْ صَدُّوا عَنْهُ أفْضَلَ الْخَلْقِ

مُحَمَّدًا وَأصْحَابَهُ، وَالْحَالُ أنَّ هَذَا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ،مِنْ حُرْمَتِهِ وَاحْتِرَامِهِ وَعَظَمَتِهِ، أنَّ مَنْ يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ نُذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ ألِيمٍ.

فَمُجَرَّد إرَادَة الظُّلْمِ وَالْإِلْحَادِ فِي الْحَرَمِ، مُوجِبٌ للعَذَابِ، وَإنْ كَانَ غَيْرُهُ لَا يُعَاقَبُ الْعَبْدُ عَلَيْهِ إلَّا بِعَمَلِ الظُّلْمِ، فَكَيْفَ بِمَنْ أتَى فِيهِ أعْظَمَ الظُّلْمِ، مِنَ الْكُفْرِ وَالشِّرْكِ، وَالصَّدِّ عَنْ سَبِيلِهِ، وَمَنْع مَنْ يُرِيدُهُ بِزِيَارَةٍ، فَمَا ظَنُّكُمْ أنْ يَفْعَلَ اللَّهُ بِهِمْ؟

وَفِي هَذِهِ الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ، وُجُوبُ احْتِرَامِ الْحَرَمِ، وَشِدَّةُ تَعْظِيمِهِ، وَالتَّحْذِيرُ مِنْ إرَادَةِ الْمَعَاصِي فِيهِ وَفِعْلِهَا }.

-وَفِي قَوْلِهِ تَعَالَى :{ وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ نُّذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ } تَهْدِيدٌ لِكُلِّ مَنْ يُحَاوِلُ ارْتِكَابَ شَيءٍ نَهَى اللَّهُ عَنْهُ فِى هَذَا الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ .

-وَالْإِلْحَادُ الْمَيْلُ . يُقَالُ : ألْحَدَ فُلَانٌ فِى دِينِ اللَّهِ ، أىْ : مَالَ وَحَادَ عَنْهُ .

وَ {مَنْ} شَرْطِيَّةٌ وَجَوَابُهَا {نُذِقْهُ} وَمَفْعُولُ {يُرِدْ} مَحْذُوفٌ لِقَصْدِ التَّعْمِيمِ . أىْ : وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ مُرَادًا بِإلْحَادٍ ، وَيَصِحُّ أنْ يَكُونَ الْمَفْعُولُ قَوْلَهُ {بِإِلْحَادٍ} عَلَى أنَّ الْبَاءَ زَائِدَةٌ .

أىْ : وَمَنْ يُرِدْ فِى هَذَا الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إلْحَادًا،أىْ:مَيْلًا وَحَيْدَةً عَنْ أحْكَامِ الشَّرِيعَةِ وَآدَابِهَا بِسَبَبِ ظُلْمِهِ وَخُرُوجِهِ عَنْ طَاعَتِنَا ، نُذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ ألِيمٍ لَا يُقَادرُ قَدْرهُ ، وَلَا يُكْتَنَه كُنْههُ .

-وَقَدْ جَاءَ هَذَا التَّهْدِيدُ فِى أقْصَى دَرَجَاتِهِ لأنَّ الْقُرْآنَ تَوَعَّدَ بِالْعَذَابِ الْألِيمِ كُلَّ مَنْ يَنْوِى وَيُرِيدُ الْمَيْلَ فِيهِ عَنْ دِينِ اللَّهِ ، وَإذَا كَانَ الْأمْرُ كَذَلِكَ ، فَمَنْ يَنْوِى وَيَفْعَل يَكُون عِقَابُهُ أشَدَّ ، وَمَصِيرُهُ أقْبَحَ .

-وَيَدْخُلُ تَحْتَ هَذَا التَّهْدِيدِ كُلُّ مَيْلٍ عَنِ الْحَقِّ إلَى الْبَاطِلِ ، أوْ عَنِ الْخَيْرِ إلَى الشَّرِّ كَالاحْتِقَارِ ، وَالْغِشِّ

(٣)وَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى:{ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا لَا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَآۗ أَفَمَن يُلْقَىٰ فِى ٱلنَّارِ خَيْرٌ أَم مَّن يَأْتِىٓ ءَامِنًا يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِۚ ٱعْمَلُوا۟ مَا شِئْتُمْۖ إِنَّهُۥ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ }. (فصّلت: ٤٠).

-قَالَ الْعَلَّامَةُ السَّعْدِيُّ-رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى-

فِي تَفْسِيرِهَا:{ الْإِلْحَادُ فِي آيَاتِ اللَّهِ: الْمَيْلُ بِهَا عَنِ الصَّوَابِ، بِأَيِّ وَجْهٍ كَانَ: إِمَّا بِإِنْكَارِهَا وَجُحُودِهَا، وَتَكْذِيبِ مَنْ جَاءَ بِهَا، وَإِمَّا بِتَحْرِيفِهَا وَتَصْرِيفِهَا عَنْ مَعْنَاهَا الْحَقِيقِيِّ، وَإِثْبَاتِ مَعَانٍ لَهَا، مَا أَرَادَهَا اللَّهُ مِنْهَا.

فَتَوَعَّدَ تَعَالَى مَنْ أَلْحَدَ فِيهَا بِأَنَّهُ لَا يَخْفَى عَلَيْهِ، بَلْ هُوَ مُطَّلِعٌ عَلَى ظَاهِرِهِ وَبَاطِنِهِ، وَسَيُجَازِيهُ عَلَى إِلْحَادِهِ بِمَا كَانَ يَعْمَلُ، وَلِهَذَا قَالَ: { أَفَمَنْ يُلْقَى فِي النَّارِ } مِثْل الْمُلْحِدِ بِآيَاتِ اللَّهِ { خَيْرٌ أَمْ مَنْ يَأْتِي آمِنًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ } مِنْ عَذَابِ اللَّهِ مُسْتَحِقًّا لِثَوَابِهِ؟ مِنَ الْمَعْلُومِ أَنَّ هَذَا خَيْرٌ.

لَمَّا تَبَيَّنَ الْحَقُّ مِنَ الْبَاطِلِ، وَالطَّرِيقُ الْمُنَجِّي مِنْ عَذَابِهِ مِنَ الطَّرِيقِ الْمُهْلِكِ قَالَ: { اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ } إِنْ شِئْتُمْ، فَاسْلُكُوا طَرِيقَ الرُّشْدِ الْمُوَصِّلَةَ إِلَى رِضَا رَبِّكُمْ وَجَنَّتِهِ، وَإِنْ شِئْتُمْ، فَاسْلُكُوا طَرِيقَ الْغَيِّ الْمُسْخِطَةَ لِرَبِّكُمْ، الْمُوَصِّلَةَ إِلَى دَارِ الشَّقَاءِ.

{ إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ } يُجَازِيكُمْ بِحَسبِ أَحْوَالِكُمْ وَأَعْمَالِكُمْ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى: { وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيَكْفُرْ }.



•رَابِعًا:تَحْذِيرُ السُّنَّةُ النَّبَوِيَّةُ مِنَ الْأَلْحَادِ:

-وَرَدَتْ أَحَادِيثُ كَثِيرَةٌ عَلَى مَائِدَةِ السُّنَّةِ النَّبَوِيَّةِ تُحَذِّرُ مِنَ الْإِلْحَادِ وَالْمَيْلِ عَنِ الاسْتِقَامَةِ أَذْكُرُ مِنْهَا:

(١)أَخْرَجَ الْإِمَامُ مُسْلِمٌ-رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى-

فِي صَحِيحِهِ بِرَقَمِ(٢٨٦٥)مِنْ حَدِيثِ عِيَاض بْنِ حِمَارٍ–رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ–:أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ–صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– قَالَ ذَاتَ يَوْمٍ فِي خُطْبَتِهِ:{ أَلَا إِنَّ رَبِّي أَمَرَنِي أَنْ أُعَلِّمَكُمْ مَا جَهِلْتُمْ، مِمَّا عَلَّمَنِي يَوْمِي هَذَا: كُلُّ مَالٍ نَحَلْتُهُ عَبْدًا حَلَالٌ، وَإِنِّي خَلَقْتُ عِبَادِي حُنَفَاءَ كُلَّهُمْ، وَإِنَّهُمْ أَتَتْهُمُ الشَّيَاطِينُ فَاجْتَالَتْهُمْ عَنْ دِينِهِمْ، وَحَرَّمَتْ عَلَيْهِمْ مَا أَحْلَلْتُ لَهُمْ، وَأَمَرَتْهُمْ أَنْ يُشْرِكُوا بِي مَا لَمْ أُنْزِلْ بِهِ سُلْطَانًا، وَإِنَّ اللَّهَ نَظَرَ إِلَى أَهْلِ الْأَرْضِ، فَمَقَتَهُمْ عَرَبَهُمْ وَعَجَمَهُمْ، إِلَّا بَقَايَا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ، وَقَالَ: إِنَّمَا بَعَثْتُكَ لِأَبْتَلِيَكَ وَأَبْتَلِيَ بِكَ، وَأَنْزَلْتُ عَلَيْكَ كِتَابًا لَا يَغْسِلُهُ الْمَاءُ، تَقْرَؤُهُ نَائِمًا وَيَقْظَانَ. وَإِنَّ اللَّهَ أَمَرَنِي أَنْ أُحَرِّقَ قُرَيْشًا، فَقُلْتُ: رَبِّ، إِذَنْ يَثْلَغُوا رَأْسِي فَيَدَعُوهُ خُبْزَةً، قَالَ: اسْتَخْرِجْهُمْ كَمَا اسْتَخْرَجُوكَ، وَاغْزُهُمْ نُغْزِكَ، وَأَنْفِقْ فَسَنُنْفِق عَلَيْكَ، وَابْعَثْ جَيْشًا نَبْعَثْ خَمْسَةً مِثْلَهُ، وَقَاتِلْ بِمَنْ أَطَاعَكَ مَنْ عَصَاكَ. قَالَ: وَأَهْلُ الْجَنَّةِ ثَلَاثَةٌ: ذُو سُلْطَانٍ مُقْسِطٌ مُتَصَدِّقٌ مُوَفَّقٌ، وَرَجُلٌ رَحِيمٌ رَقِيقُ الْقَلْبِ لِكُلِّ ذِي قُرْبَى وَمُسْلِمٍ، وَعَفِيفٌ مُتَعَفِّفٌ ذُو عِيَالٍ. قَالَ: وَأَهْلُ النَّارِ خَمْسَةٌ: الضَّعِيفُ الَّذِي لَا زَبْرَ لَهُ، الَّذِينَ هُمْ فِيكُمْ تَبَعًا، لَا يَبْتَغُونَ أَهْلًا وَلَا مَالًا، وَالْخَائِنُ الَّذِي لَا يَخْفَى له طَمَعٌ، وَإِنْ دَقَّ إِلَّا خَانَهُ، وَرَجُلٌ لَا يُصْبِحُ وَلَا يُمْسِي إِلَّا وَهو يُخَادِعُكَ عَنْ أَهْلِكَ وَمَالِكَ، وَذَكَرَ البُخْلَ –أَوِ الْكَذِبَ– وَالشِّنْظِيرُ الفَحَّاشُ }. (وَفِي رِوَايَةٍ) لَمْ يُذْكَرْ: وَأَنْفِقْ فَسَنُنْفِق عَلَيْكَ. (وَفِي رِوَايَةٍ) لَمْ يُذْكَرْ: كُلُّ مَالٍ نَحَلْتُهُ عَبْدًا، حَلَالٌ. (وَفِي رِوَايَةٍ):قَامَ فِينَا رَسُولُ اللَّهِ–صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–ذَاتَ يَوْمٍ خَطِيبًا، فَقَالَ: إِنَّ اللَّهَ أَمَرَنِي... وَسَاقَ الْحَدِيثَ. وَزَادَ فِيهِ: وإِنَّ اللَّهَ أَوْحَى إِلَيَّ أَنْ تَوَاضَعُوا حَتَّى لا يَفْخَرَ أَحَدٌ عَلَى أَحَدٍ، وَلَا يَبْغِي أَحَدٌ عَلَى أَحَدٍ، وَقَالَ فِي حَدِيثِهِ: وَهُمْ فِيكُمْ تَبَعًا، لَا يَبْغُونَ أَهْلًا وَلَا مَالًا. فَقُلْتُ (قَتَادَة): فَيَكُونُ ذَلِكَ يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ؟ قَالَ: نَعَمْ، وَاللَّهِ لَقَدْ أَدْرَكْتُهُمْ فِي الجَاهِلِيَّةِ، وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَرْعَى عَلَى الْحَيِّ، مَا بِهِ إِلَّا وَلِيدَتُهُمْ يَطَؤُهَا }.

-فَقَوْلُهُ-صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-:{ وَإِنِّي خَلَقْتُ عِبَادِي حُنَفَاءَ كُلَّهُمْ، وَإِنَّهُمْ أَتَتْهُمُ الشَّيَاطِينُ فَاجْتَالَتْهُمْ عَنْ دِينِهِمْ، وَحَرَّمَتْ عَلَيْهِمْ مَا أَحْلَلْتُ لَهُمْ، وَأَمَرَتْهُمْ أَنْ يُشْرِكُوا بِي مَا لَمْ أُنْزِلْ بِهِ سُلْطَانًا }.

-{ وَإِنِّي خَلَقْتُ عِبَادِي حُنَفَاءَ كُلَّهُمْ } جَمْعُ حَنِيفٍ، وَهُوَ الْمَائِلُ عَنِ الْبَاطِلِ الْمُنْقَطِعُ لِلحَقِّ، وَالْمَعْنَى: أَنَّهُ سُبْحَانَهُ خَلَقَهُمْ عَلَى الْفِطْرَةِ مُسْلِمِينَ، وَقِيلَ: طَاهِرِينَ مِنَ الْمَعَاصِي، وَقِيلَ: مُسْتقِيمِينَ مُنِيبِينَ لِقَبُولِ الْهِدَايَةِ.{ وَإِنَّهم أَتتْهُمُ الشَّيَاطِينُ فَاجْتَالَتْهُمْ عَنْ دِينِهِمْ }،أيْ: صَرَفَتْهُمْ وَذَهَبَتْ بِهِمْ عَنْ دِينِهِمْ إِلَى الْأَبَاطِيلِ، وَحَرَّمَتْ عَلَيْهِمْ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَهُمْ، وَأَمَرَتْهُمْ أنْ يُشْركُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا، أيْ: دُونَ حُجَّةٍ وَبُرْهَانٍ.

-وَفِي ذَلِكَ أمْرٌ بِالاسْتِقَامَةِ عَلَى مَنْهَجِ اللَّهِ تَعَالَى،وَتَحْذِيرٌ مِنَ الْإِلْحَادِ وَالْمَيْلِ عَنِ الاسْتِقَامَةِ.

(٢)وَأخْرَجَ الْإِمَامُ مُسْلِمٌ-رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى- أيْضًا فِي صَحِيحِهِ بِرَقَمِ(١٣٤)مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ-رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ-قَالَ:قَالَ رَسُولُ اللَّهِ-صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-:{ لَا يَزَالُ النَّاسُ يَتَسَاءَلُونَ حَتَّى يُقَالَ: هَذَا خَلَقَ اللَّهُ الْخَلْقَ، فَمَنْ خَلَقَ اللَّهَ؟ فَمَنْ وَجَدَ مِنْ ذَلِكَ شَيْئًا، فَلْيَقُلْ: آمَنْتُ بِاللَّهِ }.وَفِي رِوَايَةٍ: { يَأْتِي الشَّيْطَانُ أحَدَكُمْ فَيَقُولُ: مَنْ خَلَقَ السَّمَاءَ؟ مَنْ خَلَقَ الْأَرْضَ؟ فَيَقُولُ: اللَّهُ...، ثُمَّ ذَكَرَ بِمِثْلِهِ وَزادَ: وَرُسُلِهِ }.

-الْإِيمَانُ بِاللَّهِ سُبْحَانَهُ يَتَطَلَّبُ قَلْبًا وَاعِيًا، وَتَسْلِيمًا وَانْقِيادًا كَامِلًا للَّهِ سُبْحَانَهُ؛ لأنَّ كَثِيرًا مِنَ الْأُمُورِ الْغَيْبِيَّةِ وَغَيْرِهَا لَا يُمْكِنُ للعَقْلِ أنْ يُدْرِكَهَا، وَرُبَّمَا يَتَشَكَّكُ الْإِنْسَانُ وَيَعْتَرِيهِ الْفِكْرُ السَّقِيمُ، وَهُنَا لَا بُدَّ لِلمُؤْمِنِ أنْ يَرْجِعَ سَرِيعًا إِلَى إِيمَانِهِ بِاللَّهِ وَمَا قَالَهُ عَنْ نَفْسِهِ عَزَّ وَجَلَّ.

-وَفِي هَذَا الْحَدِيثِ يُخْبِرُ النَّبِيُّ-صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-أَنَّهُ:{ لَا يَزَالُ النَّاسُ يَتَسَاءَلُونَ }، وَالْمُرَادُ بِالتَّسَاؤُلِ هُنَا: حِكَايَةُ النَّفْسِ، وَحَدِيثُهَا، وَوَسْوَسَتُهَا، حَتَّى يَبْلُغَ السُّؤَالُ إِلَى أنْ{ يُقَالَ: هَذَا خَلَقَ اللَّهُ الْخَلْقَ } كَأنْ يَتَسَاءَلَ: مَنْ خَلَقَ السَّمَاءَ؟ وَمَنْ خَلَقَ الْأَرْضَ؟ وَمَنْ خَلَقَ الْجِبَالَ؟ وَمَنْ خَلَقَ الْإِنْسَانَ؟

وَيُجِيبُ الْإِنْسَانُ دِينًا وَفِطْرَةً وَعَقْلًا بِقَوْلِهِ:{ اللَّهُ }، وَهَذَا جَوَابٌ بَدَهِيٌّ صَحِيحٌ وَحَقٌّ وَإِيمَانٌ، وَلَكِنَّ الشَّيْطَانَ لَا يَقِفُ عِنْدَ هَذَا الْحَدِّ مِنَ الْأَسْئِلَةِ

وَالْوَسَاوِسِ، بَلْ يَنْتَقِلُ مِنْ سُؤَالٍ إِلَى سُؤَالٍ، حتَّ ى يَقُولَ:{ فَمَنْ خَلَقَ اللَّهَ؟!} وَهَذَا مِنَ التَّشْكِيكِ فِي اللَّهِ سُبْحَانَهُ، وَكَأَنَّهُ أَرَادَ أَنْ يُجْرِيَ عَلَى الْخَالِقِ سُبْحَانَهُ صِفَاتِ الْمَخْلُوقَاتِ،وَأَنَّهُ لَا بُدَّ لَهُ مِنْ خَالِقٍ وَمُوجِدٍ أَعْلَى مِنْهُ، تَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُوَسْوِسُ بِهِ الشَّيْطَانُ عُلُوًّا كَبِيرًا، وَفِي عَصْرِنَا الْحَاضِرِ وَقَعَتْ مِثْلُ هَذِهِ الْأَسْئِلَةِ كَثِيرًا، وَهِيَ مُشَاهَدَةٌ وَمَسْمُوعَةٌ لِلجَمِيعِ، وَهَذِهِ أَسْئِلَةٌ يُلْقِيهَا الشَّيْطَانُ؛ لِيُشَكِّكَ الْمُؤمِنَ فِي عَقِيدَتِهِ وَدِينِهِ،وَيُوقِعَهُ فِي الْإِلْحَادِ. فَإِذَا قَالَ النَّاسُ ذَلِكَ فَمَوْقِفُ الْمُؤْمِنِ أَنْ يَعُودَ إِلَى اللَّهِ، وَأَرْشَدَ النَّبِيُّ–صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– إِلَى أَنَّ مَنْ صَادَفَ شَيْئًا مِنْ ذَلِكَ الْقَوْلِ وَالسُّؤَالِ، أَوْ وَجَدَ فِي خَاطِرِهِ شَيْئًا مِنْ جِنْسِ ذَلِكَ الْحَدِيثِ، { فَلْيَقُلْ: آمَنْتُ بِاللَّهِ

وَرُسُلِهِ }، أَيْ: آمَنْتُ بِالَّذِي قَالَهُ اللَّهُ تَ عَالَى وَرُسُلُهُ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ؛ مِنْ وَصْفِهِ تَعَالَى بِالتَّوْحِيدِ وَالْقِدَمِ،وَأَنَّ قَوْلَهُ سُبْحَانَهُ وَإِجْمَاعَ الرُّسُلِ هُوَ الصِّدْقُ وَالْحَقُّ؛ فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ؟!

وَفِي رِوَايَةٍ:{ يَأْتِي الشَّيْطَانُ أَحَدَكُمْ }، أَيْ: يُوَسْوِسُ إِبْلِيسُ، أَوْ أَحَدُ أَعْوَانِهِ، مِنْ شَيَاطِينِ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ، فِي صَدْرِ الْمَرْءِ، وَالشَّيْطَانُ: هُوَ أَعْدَى أَعْدَاءِ الْبَشَرِ عَلَى الْإِطْلَاقِ؛ إِذْ لَا هَمَّ وَلَا عَمَلَ لَهُ أَبَدًا إِلَّا غَوَايَةُ الْإِنْسَانِ، وَإِضْلَالُهُ، حَتَّى يَهْلِكَ؛ فَيُوَسْوِسُ إِلَيْهِ بِشَتَّى الْوَسَاوِسِ، وَيَأْتِيهِ مِنْ كُلِّ طَرِيقٍ وَشُبْهَةٍ، وَهَمُّهُ الْأَوَّلُ أَنْ يَأْتِيَهُ مِنْ جِهَةِ الْعَقِيدَةِ؛ لِأَنَّهَا أَسَاسُ الدِّينِ وَالْإِيمَانِ، وَعَلَيْهَا تَتَوَقَّفُ نَجَاةُ الْإِنْسَانِ، وَسَعَادَتُهُ فِي الدَّارِ الْآخِرَةِ، فَيَبْعَثُ فِي نَفْسِهِ الشُّبُهَاتِ حَوْلَهَا، وَيُثِيرُ فِيهِ التَّسَاؤلَاتِ الْكَثِيرَةَ عَنْ حُدُوثِ الْأَشْيَاءِ، وَمَنْ أَحْدَثَهَا،فَيَقُولُ:{ مَنْ خَلَقَ السَّمَاءَ؟مَنْ خَلَقَ الْأَرْضَ }، وَغَرَضُهُ أَنْ يُوقِعَهُ فِي الْغَلَطِ وَالْكُفْرِ.

–وَفِي الْحَدِيثِ: الاسْتِعَانَةُ بِاللَّهِ عَلَى قَطْعِ وَسَاوِسِ الشَّيْطَانِ.

-وَفِيهِ: الْحَثُّ عَلَى دَفعِ الْخَوَاطِرِ غَيْرِ الْمُسْتَقِرَّةِ بالْإِعْرَاضِ عَنْهَا، وَالرَّدِّ لَهَا منْ غَيْرِ اسْتِدْلَالٍ وَلَا نَظَرٍ فِي إبْطَالِهَا، وَهَذَا منْ أعْظَمِ أسْبَابِ السَّلَامَةِ.



•خَامِسًا:أسْبَابُ الْوُقُوعِ فِي الْإِلْحَادِ:

-هُنَاكَ أسْبَابٌ عَدِيدَةٌ لانْتِشَارِ الْإِلْحَادِ أذْكُرُ مِنْهَا:

(١) غِيَابُ الْقُدْوَةِ الصَّالِحَةِ فِي مُحِيطِ الْأُسْرَةِ،فَلَا يَرَى الْأبْنَاءُ مِنَ الْأبَاءِ وَالْأُمَّهَاتِ مَنْ يَقُومُ عَلَى تَعْلِيمِهِمْ وَتَرْبِيَتِهِمْ عَلَى الْأدَابِ الْإِسْلَامِيَّةِ وَحُبِّ الدِّينِ وَمَعْرِفَةِ أحْكَامِهِ،مِمَّا يُؤدِّي إلَى انْحِدَارِ الْأبْنَاءِ إلَى هَاوِيَةِ الضَّلَالِ أمَامَ أيِّ شُبْهَةٍ تُثَارُ،فَالْأُسْرَةُ هِيَ الْحَضَّانَةُ الْأولَى لِحِفْظِ الْأبْنَاءِ أوِ انْحِرَافِهِمْ،فَقَدْ أخْرَجَ الْإمَامُ الْبُخَارِيُّ-رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى-فِي صَحِيحِهِ بِرَقْمِ(١٣٥٨)مِنْ حَدِيثِ أبِي هُرَيْرَةَ-رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ-قَالَ:قَالَ رَسُولُ اللَّهِ-صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-:

{ مَا مِنْ مَوْلُودٍ إلَّا يُولَدُ عَلَى الْفِطْرَةِ، فَأبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ أوْ يُنَصِّرَانِهِ، أوْ يُمَجِّسَانِهِ، كَمَا تُنْتَجُ الْبَهِيمَةُ بَهِيمَةً جَمْعَاءَ، هَلْ تُحِسُّونَ فِيهَا مِنْ جَدْعَاءَ، ثُمَّ يَقُولُ أبُو هُرَيْرَةَ-رَضِيَ اللَّهُ عنْهُ-: {فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا }.(الرُّوم: ٣٠) الآيَةَ}.

(٢) أنْ يَقْرَأَ النَّاشِئَةُ مُؤلَّفَاتِ الْمُلْحِدِينَ، وَقَدْ دَسُّوا فِيهَا سُمُومًا مِنَ الشُبَهِ تَحْتَ ألْفَاظٍ مُنَمَّقَةٍ-وَهُمْ قَلِيلُوا الْعِلْمِ-،فَتَضْعُفُ نُفُوسُهُمْ أمَامَ هَذِهِ الْألْفَاظِ الْمُنَمَّقَةِ، وَالشُّبَهِ الْمُبَهْرَجَةِ، فَلَا يَلْبَث أنْ يَدْخُلَ النَّاشِئَةُ فِي زُمْرَةِ الْمَلَاحِدَةِ الْألِدَاءِ.

(٣) التَّعَرُّضُ للشُّبُهَاتِ دُونَ تَحْصِيلِ الْحَدِّ الْأَدْنَى مِنَ الْمَنَاعَةِ الْعِلْمِيَّةِ،وَذَلِكَ بِالدُّخُولِ فِي نِقَاشَاتٍ غَيْرِ مُتَكَافِئَةٍ مَعَ الْمَلَاحِدَةِ وَمُنْتَقِدِي الدِّين، مَعَ الاسْتِهَانَةِ بِقُدْرَاتِ الْخَصْمِ عَلَى التَّشْكِيكِ وَالْهَدْمِ. وَيُكَرِّسُ هَذَا الْأَمْرَ لَدَى كَثِيرٍ مِنَ الشَّبَابِ، مَزَاجُ الانْطِلَاقِ وَالتَّحَرُّرِ وَرَفْض (الْوِصَايَة) مِنَ الْعُلَمَاءِ وَأَهْلِ الْخِبْرَةِ.

(٤) وَمِنَ الْأَسْبَابِ الْأَهْوَاءُ الْبَشَرِيَّةُ: فَحُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنْ غَرِيزَةٍ جِنْسِيَّةٍ وَمَالٍ وَعُجْبٍ وَغُرُورٍ وَكِبْرِيَاءٍ يَجِدُ فِيهَا الْمُلْحِدُ ضَالَّتَهُ، فَهُوَ يُرِيدُ أَنْ يُفَرِّغَ شَهْوَتَهُ بِدُونِ ضَوَابِطٍ وَلَا حِسَابٍ وَلَا عِتَابٍ، وَيُحِبُّ أَنْ يَجْمَعَ الْمَالَ كَيْفَمَا شَاءَ وَيُنْفِقَهُ فِيمَا شَاءَ دُونَ أَنْ يَجِدَ مُحَاسَبَةً وَتَقْيِيدًا لَهُ فِي حَيَاتِهِ، وَحُبُّهُ للظُّهُورِ وَالْخُرُوجِ عَنِ الْمَألُوفِ بَيْنَ مَعَارِفِهِ فَيُظْهِرُ نَفْسَهُ كَأَنَّهُ الْأَكْثَرُ فَهْمًا وَجُرْأَةً، وَالْكَثِيرُ مِنَ الْأَهْوَاءِ الَّتِي تَعْتَرِي الْبَشَرَ فَتُوَصِّلُهُمْ أَوْ تُسَهِّلُ عَلَيْهِمُ الْإِلْحَادَ وَالْعِيَاذُ بِاللَّهِ.

(٥) وَمِنْ أَسْبَابِ الْإِلْحَادِ الرَّغْبَةُ الْقَاصِرَةُ:

لأَنَّ الْمُلْحِدَ عِنْدَمَا يَخَافُ وُجُودَ اللَّهِ يُفَكِّرُ فِي إِنْكَارِهِ وَيَصِلُ بَعْدَهَا لِعَدَمِ الْإِيمَانِ بِهِ.

(٦) وَمِنْ أَسْبَابِ الْإِلْحَادِ الظُّلْمُ السِّيَاسِيُّ وَالظُّلْمُ الْإِجْتِمَاعِيُّ مِنْ فَقْرٍ وَبَطَالَةٍ إِنْ وَافَقَ جَهْلًا بِالدِّينِ وَأَحْكَامِهِ وَتَعَالِيمِهِ فَقَدْ يَقُودُ إِلَى الْإِلْحَادِ أَوْ إِلَى الانْتِحَارِ.



•سَادِسًا:شُبُهَاتُ الْمُلْحِدِينَ وَالرَّدُّ عَلَيْهَا:

–تُعْتَبَرُ الشُّبُهَاتُ الَّتِي يُثِيرُهَا الْمُلْحِدُونَ حَوْلَ وُجُودِ اللَّهِ وَالْإِيمَانِ بِهِ مُتَعَدِّدَةً وَمُتَنَوِّعَةً، وَيُمْكِنُ تَقْسِيمُهَا إِلَى عِدَّةِ فِئَاتٍ رَئِيسَةٍ:

•مِنْ أَهَمِّ شُبُهَاتِ الْمُلْحِدِينَ:

(١) شُبْهَةُ الشَّرِّ وَالْمُعَانَاةِ:

–يَرَى الْمُلْحِدُونَ أَنَّ وُجُودَ الشَّرِّ وَالْمُعَانَاةِ فِي الْعَالَمِ يَتَنَاقَضُ مَعَ فِكْرَةِ وُجُودِ إِلَهٍ رَحِيمٍ وَعَادِلٍ.

• رَدُّ الشُّبْهَةِ:

–اللَّهُ أَعْطَى الْإِنْسَانَ الْإِرَادَةَ الْحُرَّةَ، وَبِالتَّالِي فَإِنَّ الشَّرَّ هُوَ نَتِيجَةُ اخْتِيَارَاتِ الْإِنْسَانِ.

–الشَّرُّ قَدْ يَكُونُ اخْتِبَارًا لِلْإِنْسَانِ وَدَافِعًا لِلْخَيْرِ.

–قَدْ يَكُونُ الشَّرُّ جُزْءًا مِنْ نِظَامٍ كَوْنِيّ أَكْبَرَ لَا نُدْرِكُهُ.

–فَتَقْدِيرُ اللَّهِ خَيْرٌ كُلُّهُ، لَكِنْ مِنْ مَنْظُورِ الْإِنْسَانِ أَنَّهُ يَرَى الْعَطَاءَ عَيْنَ الْخَيْرِ، وَالْمَنْعَ عَيْنَ الشَّرِّ، وَلَا يَدْرِي أَنَّ الْعَطَاءَ وَالْمَنْعَ اخْتِبَارٌ وَابْتِلَاءٌ لِيَسْتَخْرِجَ اللَّهُ جَمِيعَ أَنْوَاعِ الْعُبُودِيَّةِ مِنْ خَلْقِهِ، فَعِنْدَ الْعَطَاءِ عِبَادَةُ الشُّكْرِ، وَعِنْدَ الْمَنْعِ عِبَادَةُ الصَّبْرِ، وَفِي الْمَنْعِ مَغْفِرَةُ الذَّنْبِ وَرَفْعُ الدَّرَجَاتِ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: {فَأَمَّا ٱلْإِنسَٰنُ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ رَبُّهُۥ فَأَكْرَمَهُۥ وَنَعَّمَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّيٓ أَكْرَمَنِ (١٥) وَأَمَّآ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّيٓ أَهَٰنَنِ (١٦) كَلَّاۖ بَل لَّا تُكْرِمُونَ ٱلْيَتِيمَ (١٧) وَلَا تَحَٰٓضُّونَ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ (١٨) وَتَأْكُلُونَ ٱلتُّرَاثَ أَكْلًا لَّمًّا (١٩) وَتُحِبُّونَ ٱلْمَالَ حُبًّا جَمًّا (٢٠) كَلَّآۖ إِذَا دُكَّتِ ٱلْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا (٢١) وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا (٢٢) وَجِاْيٓءَ يَوْمَئِذٍۭ بِجَهَنَّمَۚ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ ٱلْإِنسَٰنُ وَأَنَّىٰ لَهُ ٱلذِّكْرَىٰ (٢٣) يَقُولُ يَٰلَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي} (الفجر: ١٥–٢٤).

–وَأَخْرَجَ الْإِمَامُ مُسْلِمٌ –رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى– فِي صَحِيحِهِ بِرَقْمِ (٢٩٩٩) مِنْ حَدِيثِ صُهَيْبِ بْنِ سِنَانٍ الرُّومِيِّ –رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ– قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–: {عَجَبًا لِأَمْرِ الْمُؤْمِنِ،

إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ خَيْرٌ، وَلَيْسَ ذَاكَ لِأَحَدٍ إِلَّا لِلْمُؤْمِنِ، إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَّاءُ شَكَرَ، فَكَانَ خَيْرًا لَهُ، وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَّاءُ، صَبَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ}.

(٢) شُبْهَةُ عَدَمِ وُجُودِ دَلِيلٍ مَادِّيٍّ عَلَى وُجُودِ اللَّهِ:

–يُطَالِبُ الْمُلْحِدُونَ بِتَقْدِيمِ دَلِيلٍ مَادِّيٍّ مَلْمُوسٍ عَلَى وُجُودِ اللَّهِ، وَهُوَ مَا يَرَوْنَهُ غَيْرَ مَوْجُودٍ.

- **رَدُّ الشُّبْهَةِ:**

–الْإِيمَانُ بِالْغَيْبِ لَا يَحْتَاجُ إِلَى دَلِيلٍ مَادِّيٍّ، بَلْ يَعْتَمِدُ عَلَى الْأَدِلَّةِ الْعَقْلِيَّةِ وَالنَّقْلِيَّةِ.

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: {يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ (٢١) ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ فِرَٰشٗا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءٗ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَخۡرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزۡقٗا لَّكُمۡۖ فَلَا تَجۡعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادٗا وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ (٢٢) وَإِن كُنتُمۡ فِي رَيۡبٖ مِّمَّا نَزَّلۡنَا عَلَىٰ عَبۡدِنَا فَأۡتُواْ بِسُورَةٖ مِّن مِّثۡلِهِۦ وَٱدۡعُواْ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ (٢٣) فَإِن لَّمۡ تَفۡعَلُواْ وَلَن تَفۡعَلُواْ فَٱتَّقُواْ ٱلنَّارَ ٱلَّتِي وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُۖ أُعِدَّتۡ لِلۡكَٰفِرِينَ (٢٤) وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُۖ كُلَّمَا رُزِقُواْ مِنۡهَا مِن ثَمَرَةٖ رِّزۡقٗا قَالُواْ هَٰذَا ٱلَّذِي رُزِقۡنَا مِن قَبۡلُۖ وَأُتُواْ بِهِۦ مُتَشَٰبِهٗاۖ وَلَهُمۡ فِيهَآ أَزۡوَٰجٞ مُّطَهَّرَةٞۖ وَهُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ} (البقرة: ٢١–٢٥).

–وُجُودُ الْكَوْنِ وَالنِّظَامِ الْبَدِيعِ فِيهِ دَلِيلٌ عَلَى وُجُودِ خَالِقٍ.

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: {إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِن مَّاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ} (البقرة: ١٦٤).

–وَالتَّجْرِبَةُ الدَّاخِلِيَّةُ لِلْإِنْسَانِ، وَوُجُودُ قِيَمِ الْخَيْرِ وَالْجَمَالِ وَالْعَدْلِ، كُلُّهَا أَدِلَّةٌ عَلَى وُجُودِ اللَّهِ.

(٣) شُبْهَةُ التَّنَاقُضِ بَيْنَ الْعِلْمِ وَالدِّينِ:

–يَرَى الْمُلْحِدُونَ أَنَّ هُنَاكَ تَنَاقُضَاتٍ بَيْنَ مَا يُثْبِتُهُ الْعِلْمُ وَمَا يُقَرِّرُهُ الدِّينُ.

• رَدُّ الشُّبْهَةِ:

–الْعِلْمُ يَبْحَثُ فِي الْكَوْنِ الْمَادِّيِّ، بَيْنَمَا الدِّينُ يَبْحَثُ فِي الْأُمُورِ الْغَيْبِيَّةِ وَالْأَخْلَاقِيَّةِ.

–الْعِلْمُ وَالدِّينُ لَا يَتَنَاقَضَانِ، بَلْ يُكَمِّلَانِ بَعْضَهُمَا الْبَعْضَ.

–الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ يَحُثُّ عَلَى الْبَحْثِ الْعِلْمِيِّ وَالتَّفْكِيرِ.

–قَالَ تَعَالَى: { قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ۚ ثُمَّ اللَّهُ يُنْشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ }. (الْعَنْكَبُوتُ: ٢٠).

–وَقَالَ تَعَالَى: { أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا ۚ وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ (٢٧) وَمِنَ النَّاسِ وَالدَّوَابِّ وَالْأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ كَذَٰلِكَ ۗ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ۗ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ }. (فَاطِرُ: ٢٧–٢٨).

(٤) شُبْهَةُ عَدَمِ وُجُودِ هَدَفٍ لِلْحَيَاةِ:

–يَرَى الْمُلْحِدُونَ أَنَّ الْحَيَاةَ لَيْسَ لَهَا هَدَفٌ مُحَدَّدٌ، وَأَنَّ الْإِنْسَانَ مُجَرَّدُ كَائِنٍ حَيٍّ يَعِيشُ ثُمَّ يَمُوتُ.

• رَدُّ الشُّبْهَةِ:

–اللَّهُ خَلَقَ الْإِنْسَانَ لِعِبَادَتِهِ وَعِمَارَةِ الْأَرْضِ.

–قَالَ تَعَالَى: { وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ (٥٦) مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعِمُونِ (٥٧) إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ }. (الذَّارِيَاتُ: ٥٦–٥٨).

–وَقَالَ تَعَالَى: { وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا ۚ قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ ۖ هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ ۚ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُجِيبٌ }. (هُودُ: ٦١).

–وَقَالَ تَعَالَى: { الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ ۗ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ }. (الْحَجُّ: ٤١).

–الْحَيَاةُ الدُّنْيَا هِيَ مَرْحَلَةٌ مُؤَقَّتَةٌ، وَالْآخِرَةُ هِيَ الْحَيَاةُ الْأَبَدِيَّةُ.

–قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: { وَمَا هَٰذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ ۚ وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ ۚ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ }. (الْعَنْكَبُوتُ: ٦٤).

(٥) شُبْهَةُ تَعَدُّدِ الْآلِهَةِ وَالدِّيَانَاتِ:

–يَرَى الْمُلْحِدُونَ أَنَّ تَعَدُّدَ الْآلِهَةِ وَالدِّيَانَاتِ يُشَكِّكُ فِي صِحَّةِ أَيٍّ مِنْهَا.

- رَدُّ الشُّبْهَةِ:

–اللَّهُ وَاحِدٌ أَحَدٌ، وَالتَّوْحِيدُ هُوَ أَصْلُ الدِّيَانَاتِ السَّمَاوِيَّةِ.

–قَالَ تَعَالَى: { وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ ۖ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَٰنُ الرَّحِيمُ }. (الْبَقَرَةُ: ١٦٣).

–وَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى: { قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ (١) اللَّهُ الصَّمَدُ (٢) لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ (٣) وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ }. (الْإِخْلَاصُ: ١–٤).

–الِاخْتِلَافُ فِي الدِّيَانَاتِ يَعُودُ إِلَى تَحْرِيفِ بَعْضِهَا عَبْرَ التَّارِيخِ.

–قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: { مِنَ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَاسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ وَرَاعِنَا لَيًّا بِأَلْسِنَتِهِمْ وَطَعْنًا فِي الدِّينِ ۚ وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَاسْمَعْ وَانْظُرْنَا لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَأَقْوَمَ وَلَٰكِنْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا }. (النِّسَاءُ: ٤٦).

(٦) شُبْهَةُ الْقَوْلِ بِخَلْقِ الْكَوْنِ عَنْ طَرِيقِ الصُّدْفَةِ:

–يَرَى الْمُلْحِدُونَ أَنَّ الْكَوْنَ قَدْ نَشَأَ عَنْ طَرِيقِ الصُّدْفَةِ وَلَيْسَ بِفِعْلِ خَالِقٍ.

- رَدُّ الشُّبْهَةِ:

-الصُّدْفَةُ لَا يُمْكِنُ أَنْ تُفَسِّرَ النِّظَامَ الدَّقِيقَ وَالتَّوَازُنَ الْمَوْجُودَ فِي الْكَوْنِ.

-الْكَوْنُ يَحْتَاجُ إِلَى خَالِقٍ حَكِيمٍ لِتَنْظِيمِهِ.

-قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: { وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ }. (الْأَنْعَامُ: ٥٩).

-وَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى: { أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّ ذَٰلِكَ فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ }. (الْحَجُّ: ٧٠).

(٧) شُبْهَةُ أَنَّ الدِّينَ أَفْيُونُ الشُّعُوبِ:

-يَرَى الْمُلْحِدُونَ أَنَّ الدِّينَ يُسْتَخْدَمُ لِتَخْدِيرِ النَّاسِ وَإِبْعَادِهِمْ عَنِ التَّفْكِيرِ النَّقْدِيِّ.

• رَدُّ الشُّبْهَةِ:

-الدِّينُ يُعْطِي لِلْإِنْسَانِ قِيَمًا وَأَخْلَاقًا، وَيُسَاعِدُهُ عَلَى التَّغَلُّبِ عَلَى الصِّعَابِ.

-قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: { وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ (١٣٣) الَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ ۗ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ (١٣٤) وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ (١٣٥) أُولَٰئِكَ جَزَاؤُهُم مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ۚ وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ }. (آلُ عِمْرَانَ: ١٣٣-١٣٦).

-الدِّينُ يُحَفِّزُ عَلَى الْعَمَلِ وَالْإِنْتَاجِ وَالْعَطَاءِ.

-قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: { وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ ۖ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ }. (التَّوْبَةُ: ١٠٥).

•سَابِعًا:عِلَاجُ الْإِلْحَادِ:

-قَبْلَ الْحَدِيثِ عَنْ عِلَاجِ الْإِلْحَادِ لَابُدَّ مِنْ بَعْضِ الْوَقَفَاتِ:

(أ) الْوَقْفَةُ الْأُولَى:الْوِقَايَةُ خَيْرٌ مِنَ الْعِلَاجِ:

•يجِبُ أنْ نَعْلَمَ أنَّ الْوِقَايَةَ خَيْرٌ مِنَ الْعِلَاجِ،هَذِهِ حَقِيقَةٌ أجْمَعَ عَلَيْهَا الْعُلَمَاءُ وَالْحُكَمَاءُ وَالْأَطِبَّاءُ وَسَائرُ الْعُقَلَاءِ،وَهِيَ قَاعِدَةٌ فِي الْمَنْهَجِ الرَّبَّانِيّ وَالتَّشْرِيعِ الْإِلَهِيّ،فَالْمِنْهَاجُ فِي الْوِقَايَةِ خَيْر مِنَ الْعِلَاجِ.

•الْوِقَايَةُ مِنَ الْمَعَاصِي وَمُقَدِّمَاتِهَا خَيْرٌ مِنَ الْوُقُوعِ فِيهَا وَتَجَرُّعِ شُؤمِهَا ثُمَّ الْبَحْث عَنْ عِلَاجِهَا وَالتَّدَاوِي مِنْهَا.

•وَالْوِقَايَةُ مِنَ الْأَمْرَاضِ وَالْآفَاتِ الْبَدَنِيَّةِ خَيْرٌ مِنَ الْإِصَابَةِ بِهَا ثُمَّ الْبَحْث عَنْ عِلَاجٍ لَهَا.

•وَالْوِقَايَةُ مِنْ آفَاتِ اللِّسَانِ وَالنُّطْقِ بِالْقَبِيحِ خَيْرٌ مِنْ إطْلَاقِ اللِّسَانِ وَنُطْقِهِ بِمَا يُوجِبُ الْعُقُوبَةَ وَالنَّدَمَ وَيَدْفَعُ إلَى الْاعْتِذَارِ.

•وَالْوِقَايَةُ خَيْرٌ مِنَ الْعِلَاجِ عِنْدَ انْتِشَارِ وَبَاءٍ لَمْ يُكْتَشَفْ لَهُ دَوَاءٌ بَلْ تَكُونُ الْوِقَايَةُ هِيَ الْعِلَاجُ الْأَوْحَدُ الْمَعْرُوفُ عِنْدَهَا تَظْهَرُ أهَمِيَّةُ هَذِهِ الْقَاعِدَةِ وَضَرُورَةُ تَطْبِيقِهَا.

•وَالْآنَ مَعَ نُصُوصِ الْوَحْيَيْنِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ وَالسُّنَّةِ النَّبَوِيَّةِ وَكَذَلِكَ آثَارِ السَّلَفِ الصَّالِحِ فِي بَيَانِ ضَرُورَةِ الْعَمَلِ بِهَذِهِ الْقَاعِدَةِ



(الْوِقَايَةُ خَيْرٌ مِنَ الْعِلَاجِ)فِي شَأنِنَا كُلِّهِ فَالْمِنْهَاجُ فِي الْوِقَايَةِ خَيْر مِنَ الْعِلَاجِ:

• مِنَ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ:

(١)قَالَ اللهُ تَعَالَى:{ وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ }.(البقرة:٣٥).

-فَتَدَبَّرْ قَوْلَهُ تَعَالَى للأَبَوَيْنِ آدَم وَحَوَّاء-عَلَيْهِمَا السَّلَامُ-:{ وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ } فَقَوْلُهُ تَعَالَى:{ وَلَاتَقْرَبَا }تَطْبِيقٌ لِقَاعِدَةِ(الْوِقَايَة خَيْر مِنَ الْعِلَاجِ)فَنَهَاهُمَا عَنِ الْقُرْبِ مِنَ الشَّجَرَةِ الْمَمْنُوعَةِ لِيَحْفَظَهُمَا مِنْ إغْرَاءِ الْمَعْصِيَةِ وَمِنْ مُقَدِّمَاتِهَا لأَنَّهُمَا إذَا اقْتَرَبَا مِنْهَا وَنَظَرَا إلَى ثِمَارِهَا رُبَّمَا تَحَرَّكَتْ شَهْوَةُ الْأَكْلِ مِنْهَا وَوَقَعا فِيمَا نَهَاهُمَا عَنْهُ رَبُّهُمَا وَهُوَ الْأَكْلُ مِنَ تِلْكَ الشَّجَرَةِ وَهَذَا هُوَ الْمِنْهَاجُ الْوِقَايَةُ خَيْرٌ مِنَ الْعِلَاجِ،وَلِذَلِكَ قَالَ الْإمَامُ الْقُرْطُبِيُّ-رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى-فِي تَفْسِيرِهَا:{ وَقَالَ ابْنُ عَطِيَّة : قَالَ بَعْضُ الْحُذَّاقِ : إنَّ اللهَ تَعَالَى لَمَّا أَرَادَ النَّهْيَ عَنْ أَكْلِ الشَّجَرَةِ نَهَى عَنْهُ بِلَفْظٍ يَقْتَضِي الْأَكْلَ وَمَا يَدْعُو إلَيْهِ الْعَرَبُ وَهُوَ الْقُرْبُ . قَالَ ابْنُ عَطِيَّة : وَهَذَا مِثَالٌ بَيِّنٌ فِي سَدِّ الذَّرَائِعِ }.

(٢)وَقَالَ اللهُ تَعَالَى:{ وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَا ۖ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا }.(الإسراء:٣٢).

-فَتَدَبَّرْ قَوْلَهُ تَعَالَى:{ وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَا ۖ }فَإِنَّهُ تَطْبِيقٌ لِقَاعِدَةِ(الْوِقَايَةُ خَيْرٌ مِنَ الْعِلَاجِ).

-قَالَ الْإمَامُ الْقُرْطُبِيُّ-رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى-فِي تَفْسِيرِهَا:{ قَالَ الْعُلَمَاءُ:قَوْلُهُ - تَعَالَى -{ وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَا } أبْلَغُ مِنْ أنْ يَقُولَ :(وَلَا تَزْنُوا) ؛ فَإِنَّ مَعْنَاهُ لَا تَدْنُوا مِنَ الزِّنَا }.

-وَقَالَ الْعَلَّامَةُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْن نَاصِرٍ السَّعْدِيُّ-رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى-فِي تَفْسِيرِهَا:{ وَالنَّهْيُ عَنْ قُرْبَانِهِ أبْلَغُ مِنَ النَّهْيِ عَنْ مُجَرَّدِ فِعْلِهِ لأنَّ ذَلِكَ يَشْمَلُ النَّهْيَ عَنْ جَمِيعِ مُقَدِّمَاتِهِ وَدَوَاعِيهِ فَإِنَّ: (مَنْ حَامَ حَوْلَ الْحِمَى يُوشِكُ أنْ يَقَعَ فِيهِ) خُصُوصًا هَذَا الْأَمْر الَّذِي فِي كَثِيرٍ مِنَ النُّفُوسِ أقْوَى دَاعٍ إلَيْهِ }.

(٣)وَقَالَ اللهُ تَعَالَى:{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (٩٠)إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ ۖ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ }. (المائدة:٩١:٩٠).

–فَتَدَبَّرْ قَوْلَهُ تَعَالَى:{ فَاجْتَنِبُوهُ }فإنَّهَا تَطْبِيقٌ لِقَاعِدَةِ(الْوِقَايَة خَيْر مِنَ الْعِلَاجِ)لأنَّ لَفْظَةَ{ فَاجْتَنِبُوهُ }أيْ:اتْرُكُوهُ وَلَاتَقْتَرِبُوا مِنْهُ وَهِيَ أعْلَى مَرَاتِبِ التَّحْرِيمِ.

–يَقُولُ الْعَلَّامَةُ عَبْدُ الرَّحْمن بْن نَاصِرٍ السَّعْدِيُّ–رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى–فِي تَفْسِيرِهَا:{ يَذُمُّ تَعَالَى هَذِهِ الْأشْيَاءَ الْقَبِيحَةَ، وَيُخْبِرُ أنَّهَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ، وَأنَّهَا رِجْسٌ. { فَاجْتَنِبُوهُ } أيْ: اتْرُكُوهُ { لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ } فَإِنَّ الْفَلَاحَ لَا يَتِمُّ إِلَّا بِتَرْكِ مَا حَرَّمَ اللهُ، خُصُوصًا هَذِهِ الْفَوَاحِشُ الْمَذْكُورَةُ، وَهِيَ الْخَمْرُ وَهِيَ: كُلُّ مَا خَامَرَ الْعَقْلَ أيْ: غَطَّاهُ بِسُكْرِهِ، وَالْمَيْسِرُ، وَهُوَ: جَمِيعُ الْمُغَالَبَاتِ الَّتِي فِيهَا عِوَضٌ مِنَ الْجَانِبَيْنِ، كَالْمُرَاهَنَةِ وَنَحْوِهَا، وَالْأنْصَابُ الَّتِي هِيَ: الْأَصْنَامُ وَالْأنْدَادُ وَنَحْوُهَا، مِمَّا يُنْصَبُ وَيُعْبَدُ مِنْ دُونِ اللهِ، وَالْأزْلَامُ الَّتِي يَسْتَقْسِمُونَ بِهَا، فَهَذِهِ الْأَرْبَعَةُ نَهَى اللهُ عَنْهَا وَزَجَرَ، وَأخْبَرَ عَنْ مَفَاسِدِهَا الدَّاعِيَةِ إِلَى تَرْكِهَا وَاجْتِنَابِهَا. فَمِنْهَا: أنَّهَا رِجْسٌ، أيْ: خَبَثٌ، نَجَسٌ مَعْنًى، وَإِنْ لَمْ تَكُنْ نَجِسَةً حِسًّا. وَالْأمُورُ الْخَبِيثَةُ مِمَّا يَنْبَغِي اجْتِنَابُهَا وَعَدَمُ التَّدَنُّسِ بِأوْضَارِهَا. وَمِنْهَا: أنَّهَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ، الَّذِي هُوَ أعْدَى الْأعْدَاءِ لِلإنْسَانِ. وَمِنَ الْمَعْلُومِ أنَّ الْعَدَوَّ يُحْذَرُ مِنْهُ، وَتُحْذَرُ مَصَايِدُهُ وَأعْمَالُهُ، خُصُوصًا الأعْمَال الَّتِي يَعْمَلُهَا لِيُوقِعَ فِيهَا عَدُوَّهُ، فَإِنَّهَا فِيهَا هَلَاكُهُ، فَالْحَزْمُ كُلُّ الْحَزْمِ الْبُعْدُ عَنْ عَمَلِ الْعَدُوِّ الْمُبِين، وَالْحَذَرُ مِنْهَا، وَالْخَوْفُ مِنَ الْوُقُوعِ فِيهَا. وَمِنْهَا: أنَّهُ لَا يُمْكِنُ الْفَلَاحُ لِلعَبْدِ إِلَّا بِاجْتِنَابِهَا، فَإِنَّ الْفَلَاحَ هُوَ: الْفَوْزُ بِالْمَطْلُوبِ الْمَحْبُوبِ، وَالنَّجَاةُ مِنَ الْمَرْهُوبِ، وَهَذِهِ الْأمُورُ مَانِعَةٌ مِنَ الْفَلَاحِ وَمُعَوِّقَةٌ لَهُ. وَمِنْهَا: أنَّ هَذِهِ مُوجِبَةٌ لِلعَدَاوَةِ وَالْبَغْضَاءِ بَيْنَ النَّاسِ، وَالشَّيْطَانُ حَرِيصٌ عَلَى بَثِّهَا، خُصُوصًا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ، لِيُوقِعَ بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ. فَإِنَّ فِي الْخَمْرِ مِنَ انْغِلَابِ الْعَقْلِ وَذَهَابِ حِجَاهُ، مَا يَدْعُو إِلَى الْبَغْضَاءِ بَيْنَهُ وَبَيْنَ إِخْوَانِهِ الْمُؤْمِنِينَ، خُصُوصًا إِذَا اقْتَرَنَ بِذَلِكَ مِنَ السِّبَابِ مَا هُوَ مِنْ لَوَازِمِ شَارِبِ الْخَمْرِ، فَإِنَّهُ رُبَّمَا أوْصَلَ إِلَى الْقَتْلِ. وَمَا فِي الْمَيْسِرِ مِنْ غَلَبَةِ أحَدِهِمَا لِلآخَرِ، وَأخْذِ مَالِهِ الْكَثِيرِ فِي غَيْرِ مُقَابَلَةٍ، مَا هُوَ مِنْ أكْبَرِ الْأسْبَابِ لِلعَدَاوَةِ وَالْبَغْضَاءِ. وَمِنْهَا: أنَّ هَذِهِ الْأشْيَاءَ تَصُدُّ الْقَلْبَ، وَيَتْبَعُهُ

الْبَدَنُ عَنْ ذِكْرِ اللهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ، اللَّذَيْنِ خُلِقَ لَهُمَا الْعَبْدُ، وَبِهِمَا سَعَادَتُهُ، فَالْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ، يَصُدَّانِهِ عَنْ ذَلِكَ أعْظَمَ صَدٍّ، وَيَشْتَغِلُ قَلْبُهُ، وَيَذْهَلُ لُبُّهُ فِي الاشْتِغَالِ بِهِمَا، حَتَّى يَمْضِيَ عَلَيْهِ مُدَّةٌ طَوِيلَةٌ وَهُوَ لَا يَدْرِي أيْنَ هُوَ. فَأيُّ مَعْصِيَةٍ أعْظَمُ وَأقْبَحَ مِنْ مَعْصِيَةٍ تُدَنِّسُ صَاحِبَهَا، وَتَجْعَلُهُ مِنْ أهْلِ الْخُبْثِ، وَتُوقِعُهُ فِي أعْمَالِ الشَّيْطَانِ وَشِبَاكِهِ، فَيَنْقَاد لَهُ كَمَا تَنْقَادُ الْبَهِيمَةُ الذَّلِيلَةُ لِرَاعِيهَا، وَتَحُولُ بَيْنَ الْعَبْدِ وَبَيْنَ فَلَاحِهِ، وَتُوقِعُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ، وَتَصُدُّ عَنْ ذِكْرِ اللهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ؟" فَهَلْ فَوْقَ هَذِهِ الْمَفَاسِدِ شَيءٌ أكْبَرُ مِنْهَا؟" وَلِهَذَا عَرَضَ تَعَالَى عَلَى الْعُقُولِ السَّلِيمَةِ النَّهْيَ عَنْهَا، عَرْضًا بِقَوْلِهِ: { فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ } لأنَّ الْعَاقِلَ –إذَا نَظَرَ إلَى بَعْضِ تِلْكَ الْمَفَاسِدِ– انْزَجَرَ عَنْهَا وَكُفَّتْ نَفْسُهُ، وَلَمْ يَحْتَجْ إلَى وَعْظٍ كَثِيرٍ وَلَا زَجْرٍ بَلِيغٍ }.

(٤)وَقَالَ اللهُ تَعَالَى:{ ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَاتِ اللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُ عِندَ رَبِّهِ ۗ وَأُحِلَّتْ لَكُمُ الْأَنْعَامُ إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ ۖ فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ }. (الحجّ:٣٠).

–فَتَدَبَّرْ قَوْلَهُ تَعَالَى:{ فَاجْتَنِبُوا }فَإنَّهَا تَطْبِيقٌ لِقَاعِدَةِ(الْوِقَايَةُ خَيْرٌ مِنَ الْعِلَاجِ)

أيْ:لَا تَقْرَبُوا الأصْنَامَ وَالْأنْدَادَ وَكَذَلِكَ لَا تَقْرَبُوا شَهَادَةَ الزُّورِ وَاحْذَرُوا الْكَذِبَ وَالافْتِرَاءَ.

–فَمَنْهَجُ الْقُرْآنِ فِي الدَّعْوَةِ إلَى الْفَاضِلَةِ وَالتَّحْذِيرِ مِنَ الرَّذِيلَةِ يَقُومُ عَلَى قَاعِدَةِ (الْوِقَايَةُ خَيْرٌ مِنَ الْعِلَاجِ).



- مِنَ السُّنَّةِ النَّبَوِيَّةِ:

-لَقَدْ حَثَّتِ السُّنَّةُ النَّبَوِيَّةُ فِي كَثِيرٍ مِنْ نُصُوصِهَا عَلَى إعْمَالِ قَاعِدَةِ (الْوِقَايَةُ خَيْرٌ مِنَ الْعِلَاجِ)وَإِلَيْكَ جُمْلَةً مِنْ نُصُوصِ السُّنَّةِ النَّبَوِيَّةِ الَّتِي تُؤَكِّدُ عَلَى ذَلِكَ:

(١)مَا أخْرَجَهُ الْإِمَامُ الْبُخَارِيُّ–رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى–فِي صَحِيحِهِ بِرَقَمِ(٦٤٩٦)مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ – رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُ–، عَنِ النَّبِيِّ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ –، قَالَ :{ اجْتَنِبُوا السَّبْعَ الْمُوبِقَاتِ قَالُوا : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، وَمَا هُنَّ ؟ قَالَ : الشِّرْكُ بِاللَّهِ ، وَالسِّحْرُ ، وَقَتْلُ النَّفْسِ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ، وَأَكْلُ الرِّبَا ، وَأَكْلُ مَالِ الْيَتِيمِ ، وَالتَّوَلِّي يَوْمَ الزَّحْفِ ، وَقَذْفُ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ الْغَافِلَاتِ }.

-فَتَدَبَّرْ قَوْلَ النَّبِيِّ–صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–{ اجْتَنِبُوا }فَهِيَ تَطْبِيقٌ لِقَاعِدَةِ(الْوِقَايَة خَيْر مِنَ الْعِلَاجِ)وَالْمَعْنَى:اتْرُكُوا وَابْتَعِدُوا وَلَا تَقْتَرِبُوا مِنَ الْمُوبِقَاتِ وَهِيَ الذُّنُوبُ الْمُهْلِكَاتُ ،وَسُمِّيَتْ بِذَلِكَ لأَنَّهَا تُهْلِكُ صَاحِبَهَا بِمَا يَتَرَتَّبُ عَلَيْهَا مِنْ عِقَابِهِ فِي الدُّنْيَا، وَتَوَعُّدِهِ بِدُخُولِ النَّارِ وَاسْتِحْقَاقِ عَذَابِهَا فِي الْآخِرَةِ.

(٢)وَمَا أخْرَجَهُ الْإِمَامُ مُسْلِمٌ–رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى–فِي صَحِيحِهِ بِرَقَمِ(١٣٩٠)مِنْ حَدِيثِ أَبِي أمَامَةَ الْبَاهِلِيِّ–رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُ–قَالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ –، يَقُولُ :{ اقْرَءُوا الْقُرْآنَ فَإِنَّهُ يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ شَفِيعًا لِأَصْحَابِهِ ، اقْرَءُوا الزَّهْرَاوَيْنِ الْبَقَرَةَ ، وَسُورَةَ آلِ عِمْرَانَ ، فَإِنَّهُمَا تَأْتِيَانِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَأَنَّهُمَا غَمَامَتَانِ ، أَوْ كَأَنَّهُمَا غَيَايَتَانِ ، أَوْ كَأَنَّهُمَا فِرْقَانِ مِنْ طَيْرٍ صَوَافَّ ، تُحَاجَّانِ عَنْ أَصْحَابِهِمَا ، اقْرَءُوا سُورَةَ الْبَقَرَةِ ، فَإِنَّ أَخْذَهَا بَرَكَةٌ ، وَتَرْكَهَا حَسْرَةٌ ، وَلَا تَسْتَطِيعُهَا الْبَطَلَةُ . قَالَ مُعَاوِيَةُ : بَلَغَنِي أَنَّ الْبَطَلَةَ : السَّحَرَةُ }.

-فَتَدَبَّرْ قَوْلَهُ–صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–عَنْ قِرَاءَةِ سُورَةِ الْبَقَرَةِ:{ وَلَا تَسْتَطِيعُهَا الْبَطَلَةُ }فَهِيَ تَطْبِيقٌ لِقَاعِدَةِ(الْوِقَايَة خَيْر مِنَ الْعِلَاجِ)فَقِرَاءَةُ سُورَةِ الْبَقَرَةُ وَالْمُوَاظَبَةُ عَلَيْهَا يَقِي صَاحِبَهَا مِنَ السِّحْرِ وَشَرِّ السَّحَرَةِ.

(٣)وَمَا أَخْرَجَهُ الْإِمَامُ مُسْلِمٌ–أَيْضًا–فِي صَحِيحِهِ بِرَقَمِ(٢٠٤٧)مِنْ حَدِيثِ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ–رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُ–قَالَ:قَالَ رَسُولُ اللهِ–صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–:{ مَن تَصَبَّحَ بسَبْعِ تَمَراتٍ عَجْوَةً، لَمْ يَضُرَّهُ ذلكَ اليومَ سُمٌّ، ولا سِحْرٌ }.

–مَنْ تَصَبَّحَ كُلَّ يَوْمٍ سَبْعَ تَمَرَاتٍ عَجْوَةً، أيْ: مَنْ أَكَلَ كُلَّ يَوْمٍ صَبَاحًا، سَبْعَ تَمَرَاتٍ مِنَ التَّمْرِ المَعْرُوفِ بِالْعَجْوةِ لَمْ يَضُرَّهُ فِي ذَلِكَ اليَوْمِ سُمٌّ وَلَا سِحْرٌ، أيْ: لَا يَضُرُّهُ شَيْءٌ مِنَ المَوَادِّ السَّامَّةِ وَالسِّحْرِيَّةِ، وَيُحفَظُ مِنْ جَمِيعِ الأَشْيَاءِ الضَّارَّةِ جِسْمِيًّا أوْ نَفْسِيًّا.

–وَفِي الْحَدِيثِ:فَضْلُ التَّمْرِ مِنَ الْعَجْوَةِ فِي مُقَاوَمَةِ السُّمُومِ وَالسِّحْرِ.

وَفِيهِ:إِعْمَالٌ لِقَاعِدَةِ(الْوِقَايَة خَيْر مِنَ الْعِلَاجِ.

(٤)وَمَا أَخْرَجَهُ الْإِمَامُ الْبُخَارِيُّ–رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى–فِي صَحِيحِهِ بِرَقَمِ(٢٨٦١)مِنْ حَدِيثِ مُوسَى بْنِ عُقْبَةَ قَالَ حَدَّثَنِي سَالِمٌ أَبُو النَّضْرِ مَوْلَى عُمَرَ بْنِ عُبَيْدِ اللَّهِ كُنْتُ كَاتِبًا لَهُ قَالَ كَتَبَ إِلَيْهِ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي أَوْفَى حِينَ خَرَجَ إِلَى الْحَرُورِيَّةِ فَقَرَأْتُهُ فَإِذَا فِيهِ إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي بَعْضِ أَيَّامِهِ الَّتِي لَقِيَ فِيهَا الْعَدُوَّ انْتَظَرَ حَتَّى مَالَتْ الشَّمْسُ ثُمَّ قَامَ فِي النَّاسِ فَقَالَ:{ أَيُّهَا النَّاسُ لَا تَمَنَّوْا لِقَاءَ الْعَدُوِّ وَسَلُوا اللَّهَ الْعَافِيَةَ فَإِذَا لَقِيتُمُوهُمْ فَاصْبِرُوا وَاعْلَمُوا أَنَّ الْجَنَّةَ تَحْتَ ظِلَالِ السُّيُوفِ ثُمَّ قَالَ اللَّهُمَّ مُنْزِلَ الْكِتَابِ وَمُجْرِيَ السَّحَابِ وَهَازِمَ الْأَحْزَابِ اهْزِمْهُمْ وَانْصُرْنَا عَلَيْهِمْ }.

–فَتَدَبَّرْ قَوْلَ النَّبِيِّ–صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–{ لَا تَتَمَنَوْا لِقَاءَ الْعَدُوِّ }فَفِيهِ إِعْمَالٌ لِقَاعِدَةِ(الْوِقَايَة خَيْرٌ مِنَ الْعِلَاجِ):{ أيُّها النَّاسُ، لا تَمَنَّوْا لِقاءَ العَدُوِّ }، وَهَذَا النَّهْيُ لِأَنَّ الْمَرْءَ لا يَعْلَمُ مَا يَنْتَهِي إِلَيْهِ أَمْرُهُ، وَلَا كَيْفَ يَنْجُو مِنْهُ، وَلِأَنَّ النَّاسَ مُخْتَلِفُونَ فِي الصَّبْرِ عَلَى الْبَلَاءِ، وَلِأَنَّ الْعَافِيَةَ وَالسَّلَامَةَ لَا يَعْدِلُهَا شَيءٌ. وَأَيْضًا نَهَى–صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– عَنْ تَمَنِّي لِقَاءِ الْعَدُوِّ؛ لِمَا فِيهِ مِنْ صُورَةِ الْإِعْجَابِ بِالنَّفْسِ، وَالاتِّكَالِ عَلَيْهَا، وَالوُثوقِ بِأَسْبَابِ الْقُوَّةِ، وَلِأَنَّهُ يَتضَمَّنُ قِلَّةَ الاهْتِمَامِ بِالْعَدُوِّ وَاحْتِقَارَهُ، وَهَذَا يُخَالِفُ

الاحْتِيَاطَ وَالْحَزْمَ،{وسَلُوا اللهَ العافيةَ}، وَالْعَافِيَةُ مِنَ الْأَلْفَاظِ الْعَامَّةِ الْمُتَنَاوِلَةِ لِدَفْعِ جَمِيعِ الْمَكْرُوهَاتِ فِي الْبَدَنِ وَالْمَالِ وَالْأَهْلِ وَالدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَخُصَّتْ بِالدُّعَاءِ فِي هَذَا الْمَقامِ؛ لِأَنَّ الحَرْبَ مَجَالُ الْإِصَابَاتِ وَالابْتِلَاءِ،{ فَإِذَا لَقِيتُمُوهُمْ فَاصْبِرُوا }أيْ:إِذَا فُرِضَ عَلَيْكُمُ اللِّقَاءُ فَاصْبِرُوا،فَالصَّبْرُ فِي الْقِتَالِ وَالْحَرْبِ فَرْضٌ عَلَى الْمُسْلِمِ مَا دَامَ ذَلِكَ فِي قُدْرَتِهِ وَطَاقَتِهِ، وَإِنَّمَا يَأْتِي النَّصْرُ لِمَنْ صَبَرَ أَكْثَرَ.

(٥)وَمَا أَخْرَجَهُ الْإِمَامُ مُسْلِمٌ–رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى–فِي صَحِيحِهِ بِرَقْمِ(٤٢٥٦)مِنْ حَدِيثِ عَمْرِو بْنِ الشَّرِيدِ ، عَنْ أَبِيهِ ، قَالَ : { كَانَ فِي وَفْدِ ثَقِيفٍ رَجُلٌ مَجْذُومٌ ، فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِنَّا قَدْ بَايَعْنَاكَ فَارْجِعْ }.

•وَمَا أَخْرَجَهُ الْإِمَامُ الْبُخَارِيُّ–رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى–فِي صَحِيحِهِ مُعَلَّقًا بِرَقْمِ(٥٧٠٧)مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ–رَضِيَ اللهُ عَنْهُ–قَالَ:قَالَ رَسُولُ اللهِ–صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–:{ لَا عَدْوَى وَلَا طِيَرَةَ، وَلَا هَامَةَ وَلَا صَفَرَ، وَفِرَّ مِنَ الْمَجْذُومِ كَمَا تَفِرُّ مِنَ الأَسَدِ }.

–فَمُبَايَعَةُ النَّبِيِّ–صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–للمَجْذُومِ عَنْ بُعْدٍ وَأَمْرُهُ بِالْفِرَارِ مِنْهُ كَمَا تَفِرُّ مِنَ الْأَسَدِ تَطْبِيقٌ لِقَاعِدَةِ(الْوِقَايَة خَيْر مِنَ الْعِلَاجِ).

–فَقَدْ جَاءَ الْإِسْلَامُ لِيَهْدِمَ مُعْتَقَدَاتِ الْجَاهِلِيَّةِ وَيَبْنِيَ للمُسْلِمِ الْعَقِيدَةَ الصَّحِيحَةَ الْمَبْنِيَّةَ عَلَى صِحَّةِ التَّوْحِيدِ وَقُوَّةِ اليَقِينِ وَالابْتِعَادِ عَنِ الْأَوْهَامِ وَالْخَيَالَاتِ الَّتِي تَعْبَثُ بِالْعُقُولِ.

–وَفِي الْحَدِيثِ الثَّانِي يَقُولُ رَسُولُ اللهِ–صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–:{ لَا عَدْوَى }، وَهِيَ انْتِقَالُ الْمَرَضِ مِنَ الْمَرِيضِ إِلَى غَيْرِهِ. وَالْمَعْنَى: أَنَّهَا لَا تُؤَثِّرُ بِطَبْعِهَا، وَإِنَّمَا يَحْدُثُ هَذَا بِقَدَرِ اللهِ وَتَقْدِيرِهِ، { وَلَا طِيَرَةَ }، وَهِيَ التَّشَاؤُمُ، وَكَانَ أَهْلُ الْجَاهِلِيَّةِ إِذَا خَرَجُوا لِحَاجَةٍ لَهُمْ مِنْ سَفَرٍ أَوْ تِجَارَةٍ فَإِذَا شَاهَدُوا الطَّيْرَ يَطِيرُ عَنْ يَمِينِهِمْ اسْتَبْشَرُوا بِهِ، وَإِذَا طَارَ عَنْ يَسَارِهِمْ تَشَاءَمُوا بِهِ وَرَجَعُوا، { وَلَا هَامَةَ }، وَهِيَ اسْمٌ لِطَائِرٍ يَطِيرُ بِاللَّيْلِ كَانُوا يَتَشَاءَمُونَ بِهِ. وَكَانُوا يَعْتَقِدُونَ أَنَّ رُوحَ القَتِيلِ إِذَا لَمْ يُؤْخَذْ بِثَأرِهِ صَارَتْ طَائِرًا يَقُولُ:

{ اسْقُونِي اسْقُونِي }، حَتَّى يُثْأَرَ لَهُ فَيَطِيرَ، { وَلَا صَفَرَ } وَهُوَ الشَّهْرُ الْمَعْرُوفُ مِنَ الشُّهُورِ الْقَمَرِيَّةِ، وَكَانَ الْعَرَبُ يُؤَخِّرُونَ تَحْرِيمَ شَهْرِ الْمُحَرَّمِ، وَيَجْعَلُونَهُ فِي شَهْرِ صَفَر، فيُبْدِلُونَ الأشْهُرَ الْحُرُمَ، فَثَبَّتَ الْإِسْلَامُ الْأَشْهُرَ الْحُرُمَ عَلَى حَقِيقَتِهَا، وَمَنَعَ النَّسِيءَ، ثُمَّ قَالَ النَّبِيُّ –صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–: { وفِرَّ مِنَ الْمَجْذومِ }، وَهُوَ الْمُصَابُ بِمَرَضِ الجُذَامِ، وَهُوَ مَرَضٌ تَتَآكَلُ مِنْهُ أعْضَاءُ الإنْسَانِ، يَعْنِي: ابْتَعِدْ عَنْهُ مُحْتَاطًا لِنَفْسِكَ طَالِبًا لَهَا السَّلَامَةَ كَمَا تَفِرُّ مِنَ الْأَسَدِ، وَفِي النَّهْيِ عَنِ الْقُرْبِ مِنَ الْمَجْذُومِ؛ لِيَظْهَرَ لَهُمْ أنَّ هذا مِنَ الْأَسْبَابِ الَّتِي أجْرَى اللهُ الْعَادَةَ بِأَنَّهَا تُفْضِي إلَى مُسَبِّبَاتِهَا؛ فَفِي نَهْيِهِ إثْبَاتُ الْأَسْبَابِ أَنَّهَا لَا تَسْتَقِلُّ بِذَاتِهَا بَلِ اللهُ هُوَ الَّذِي إنْ شَاءَ سَلَبَهَا قُوَاهَا فَلَا تؤَثِّرُ شَيْئًا، وَإنْ شَاءَ أبْقَاهَا فَأَثَّرَتْ.

–وَفِي الْحَدِيثِ:النَّهْيُ عَنِ التَّشَاؤُمِ وَالتَّطَيُّرِ.

–وَفِيهِ: النَّهْيُ عَنِ الْمُعْتَقَدَاتِ الْجَاهِلِيَّةِ.

–وَفِيهِ: أنَّ الْأَسْبَابَ بِيَدِ اللهِ وَهُوَ الَّذِي يُجْرِيهَا أوْيَسْلُبُهَا تَأثِيرَهَا، فيَنْبَغِي الْإِيمَانُ بِاللهِ وَقُدْرَتِهِ.

•قَالَ الْقَاضِي –رَحِمَهُ اللهُ–: قَدِ اخْتَلَفَ الْآثَارُ عَنِ النَّبِيِّ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–فِي قِصَّةِ الْمَجْذُومِ،فَثَبَتَ عَنْهُ الْحَدِيثَانِ الْمَذْكُورَانِ ، وَعَنْ جَابِرٍ أَنَّ النَّبِيَّ–صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–أَكَلَ مَعَ الْمَجْذُومِ،وَقَالَ لَهُ : كُلْ ثِقَةً بِاللَّهِ ، وَتَوَكُّلًا عَلَيْهِ .

–وَعَنْ عَائِشَةَ –رَضِيَ اللهُ عَنهَا–قَالَتْ : مَوْلًى مَجْذُومٌ فَكَانَ يَأْكُلُ فِي صِحَافِي ، وَيَشْرَبُ فِي أَقْدَاحِي ، وَيَنَامُ عَلَى فِرَاشِي .

–قَالَ:وَقَدْ ذَهَبَ عُمَرُ– رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ– وَغَيْرُهُ مِنَ السَّلَفِ إِلَى الْأَكْلِ مَعَهُ ، وَرَأَوْا أَنَّ الْأَمْرَ بِاجْتِنَابِهِ مَنْسُوخٌ .

–وَالصَّحِيحُ الَّذِي قَالَهُ الْأَكْثَرُونَ،وَيَتَعَيَّنُ الْمَصِيرُ إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا نَسْخَ،بَلْ يَجِبُ الْجَمْعُ بَيْنَ الْحَدِيثَيْنِ ،وَحَمْلُ الْأَمْرِ بِاجْتِنَابِهِ وَالْفِرَارِ مِنْهُ عَلَى الِاسْتِحْبَابِ وَالِاحْتِيَاطِ لَا لِلْوُجُوبِ

، وَأَمَّا الْأَكْلُ مَعَهُ فَفَعَلَهُ لِبَيَانِ الْجَوَازِ . وَاللَّهُ أَعْلَمُ .

(٦)وَمَا أَخْرَجَهُ الْإِمَامُ الْبُخَارِيُّ–رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى–فِي صَحِيحِهِ بِرَقْمِ(٣٣١٤)مِنْ حَدِيثِ عَامِرِ بْنِ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ ، عَنْ أَبِيهِ ، أَنَّهُ سَمِعَهُ يَسْأَلُ أُسَامَةَ بْنَ زَيْدٍ ، مَاذَا سَمِعْتَ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ–صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–فِي الطَّاعُونِ؟ فَقَالَ أُسَامَةُ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–:{ الطَّاعُونُ رِجْسٌ أُرْسِلَ عَلَى طَائِفَةٍ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ ، أَوْ عَلَى مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ ، فَإِذَا سَمِعْتُمْ بِهِ بِأَرْضٍ ، فَلاَ تَقْدَمُوا عَلَيْهِ ، وَإِذَا وَقَعَ بِأَرْضٍ ، وَأَنْتُمْ بِهَا فَلاَ تَخْرُجُوا ، فِرَارًا مِنْهُ }.

–فَفِي هَذَا الْحَدِيثِ تَرْسِيخٌ لِقَاعِدَةِ(الْوِقَايَة خَيْر مِنَ الْعِلَاجِ)وَبَيَانٌ لِمَا يُسَمَّى ب(الْحَجْرِ الصِّحِّيِّ)أو(الْعَزْل الصِّحِّيّ) وَفَائِدَةُ الْحَجْرِ الصِّحِّيِّ حَصْرُ الْمَرَضِ وَتَقْلِيلُ انْتِشَارِهِ مِنْ بَابِ الْأَخْذِ بِالْأَسْبَابِ مَعَ عَدَمِ الاعْتِقَادِ فِي الْأَسْبَابِ فَالْأُمُورُ تَحْدُثُ بِتَقْدِيرِ اللهِ لَهَا،

وَالْأَخْذُ بِالْأَسْبَابِ طَاعَةٌ وَتَرْكُهَا مَعْصِيَةٌ وَالاعْتِقَادُ فِيهَا نَقْصٌ فِي التَّوْحِيدِ وَشِرْكٌ بِاللهِ تَعَالَى.

(٧)وَمَا أَخْرَجَهُ الْإِمَامُ الْبُخَارِيُّ–رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى–فِي صَحِيحِهِ بِرَقْمِ(٥٦٧٢)مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ –رَضِيَ اللهُ عَنْهُ–قَالَ :قَالَ رَسُولُ اللَّهِ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–:{ مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلَا يُؤْذِ جَارَهُ وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَوْ لِيَصْمُتْ }.

•وَمَا أَخْرَجَهُ الْإِمَامُ التِّرْمِذِيُّ–رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى–فِي سُنَنِهِ بِرَقْمِ(٢٥٠١)مِنْ حَدِيثِ عَبْدِ اللهِ بْن عَمْرو–رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا–قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ–صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–:{ مَنْ صَمَتَ نَجَا } .

–فَفِي قَوْلِ النَّبِيِّ–صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–:{ وَمَنْ كَانَ يُؤمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَوْ لِيَصْمُتْ }وَقَوْلُهُ–صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–:{ مَنْ صَمَتَ نَجَا }تَطْبِيقٌ لِقَاعِدَةِ

(الْوِقَايَة خَيْرٌ مِنَ الْعِلَاجِ) فَمَنْ صَمَتَ وَسَكَتَ عَنْ كُلِّ مَا يُسَبِّبُ لَهُ السَّيِّئاتِ، وَيُبْعِدُهُ عَنِ الطَّاعَةِ وَالحَسَناتِ مِنْ شَرٍّ، فَقَدْ نَجَا منْ جَهَنَّمَ وَفَازَ وَظَفَرَ بِكُلِّ خَيْرٍ، أوْ نَجَا مِنْ آفَاتِ الدَّارَيْنِ، وَفَازَ بِالْعَاقِبَةِ الْحَسَنةِ فِي الْآخِرَةِ. وَلَفْظَةُ الصَّمْتِ أبْلَغُ، وَأَفْصَحُ مِنْ مُطْلَقِ السُّكُوتِ؛ لِأنَّ الصَّمْتَ يُطْلَقُ عَلَى الْمُتَكَلِّمِ، وَغَيْرِ الْمُتَكَلِّمِ، بِخِلَافِ السُّكُوتِ، فَلَا يُطْلَقُ إلَّا عَلَى مَنْ يَسْتَطِيعُ الْكَلَامَ ابْتِدَاءً، فَمِنَ الْمَعْلُوُمِ أنَّ نُزُولَ الْبَلَاءِ مَنُوطٌ بِمَنْطِقِ اللِّسَانِ وَالْأدِلَّةُ عَلَى ذَلِكَ مِنْ كِتَابِ اللهِ تَعَالَى وَمِنْ سُنَّةِ رَسُولِ اللهِ–صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–كَثِيرَةٌ نَذْكُرُ مِنْهَا:

١–قَالَ اللهُ تَعَالَى:{ إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِّن طِينٍ (٧١)فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ (٧٢)فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ (٧٣)إِلَّا إِبْلِيسَ اسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ (٧٤)قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ ۖ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ الْعَالِينَ (٧٥)قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ ۖ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ (٧٦)قَالَ فَاخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ (٧٧)وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِي إِلَىٰ يَوْمِ الدِّينِ }.(ص:٧٨:٧١).فَهَلَاكُ إبْلِيس وَطَرْدُهُ كَانَ بِسَبَبِ إعْرَاضِهِ عَنْ تَنْفِيذِ أمْرِ رَبِّهِ وَمَنْطِقِ لِسَانِه عِنْدَمَا قَالَ:{ أنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ } فَكَانَتِ الْعَاقِبَةُ:{ قَالَ فَاخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ(٧٧)وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِي إِلَى يَوْمِ الدِّينِ }.

٢–وَقَالَ اللهُ تَعَالَى:{ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ ۖ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ ۗ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ }.(البقرة:٢٥٨).

وَهَذَا هُوَ النَّمْرُودُ بْنُ كَنْعَانَ الّذي مَلَّكَهُ اللهُ أسَبَابَ الْحَيَاةِ فَبَدَلًا مِنَ الشُّكْرِ كَفَرَ وَجَحَدَ وَأهْلَكَهُ اللهُ تَعَالَى بِبَعُوضَةٍ بِسَبَبِ مَنْطِقِ لِسَانِهِ عِنْدَمَا قَالَ:{...أنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ..}فَأهْلَكَهُ مَنْطِقُ لِسَانِهِ.

-قَالَ الْحَافِظُ ابْنُ كَثِيرٍ-رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى-فِي الْبِدَايَةِ وَالنِّهَايَةِ ج١ص:(٣٤٥:٣٤٤):{ وَقَدْ ذَكَرَ السُّدِّيُّ أَنَّ هَذِهِ الْمُنَاظَرَةَ كَانَتْ بَيْنَ إِبْرَاهِيمَ وَبَيْنَ النُّمْرُودِ يَوْمَ خَرَجَ مِنَ النَّارِ ، وَلَمْ يَكُنِ اجْتَمَعَ بِهِ إِلَّا يَوْمَئِذٍ فَكَانَتْ بَيْنَهُمَا هَذِهِ الْمُنَاظَرَةُ ،وَقَدْ رَوَى عَبْدُ الرَّزَّاقِ ، عَنْ مَعْمَرٍ ، عَنْ زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ أَنَّ النُّمْرُودَ كَانَ عِنْدَهُ طَعَامٌ ، وَكَانَ النَّاسُ يَفِدُونَ إِلَيْهِ لِلْمِيرَةِ فَوَفَدَ إِبْرَاهِيمُ فِي جُمْلَةِ مَنْ وَفَدَ لِلْمِيرَةِ فَكَانَ بَيْنَهُمَا هَذِهِ الْمُنَاظَرَةُ ، وَلَمْ يُعْطَ إِبْرَاهِيمُ مِنَ الطَّعَامِ كَمَا أُعْطِيَ النَّاسُ ، بَلْ خَرَجَ وَلَيْسَ مَعَهُ شَيْءٌ مِنَ الطَّعَامِ ، فَلَمَّا قَرُبَ مِنْ أَهْلِهِ عَمَدَ إِلَى كَثِيبٍ مِنَ التُّرَابِ فَمَلَأَ مِنْهُ عِدْلَيْهِ . وَقَالَ أَشْغَلُ أَهْلِي إِذَا قَدِمْتُ عَلَيْهِمْ ، فَلَمَّا قَدِمَ وَضَعَ رِحَالَهُ وَجَاءَ فَاتَّكَأَ فَنَامَ ، فَقَامَتِ امْرَأَتُهُ سَارَةُ إِلَى الْعِدْلَيْنِ فَوَجَدَتْهُمَا مَلْآنَيْنِ طَعَامًا طَيِّبًا فَعَمِلَتْ مِنْهُ طَعَامًا ، فَلَمَّا اسْتَيْقَظَ إِبْرَاهِيمُ وَجَدَ الَّذِي قَدْ أَصْلَحُوهُ ، فَقَالَ : أَنَّى لَكُمْ هَذَا ؟ قَالَتْ : مِنَ الَّذِي جِئْتَ بِهِ . فَعَرَفَ أَنَّهُ رِزْقٌ رَزَقَهُمُوهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ قَالَ زَيْدُ بْنُ أَسْلَمَ : وَبَعَثَ اللَّهُ إِلَى ذَلِكَ الْمَلِكِ الْجَبَّارِ مَلَكًا يَأْمُرُهُ بِالْإِيمَانِ بِاللَّهِ فَأَبَى عَلَيْهِ ، ثُمَّ دَعَاهُ الثَّانِيَةَ فَأَبَى عَلَيْهِ ، ثُمَّ الثَّالِثَةَ فَأَبَى عَلَيْهِ . وَقَالَ : اجْمَعْ جُمُوعَكَ وَأَجْمَعُ جُمُوعِي . فَجَمَعَ النُّمْرُودُ جَيْشَهُ وَجُنُودَهُ وَقْتَ طُلُوعِ الشَّمْسِ ، فَأَرْسَلَ اللَّهُ عَلَيْهِ ذُبَابًا مِنَ الْبَعُوضِ بِحَيْثُ لَمْ يَرَوْا عَيْنَ الشَّمْسِ ، وَسَلَّطَهَا اللَّهُ عَلَيْهِمْ فَأَكَلَتْ لُحُومَهُمْ وَدِمَاءَهُمْ ، وَتَرَكَتْهُمْ عِظَامًا بَالِيَةً ، وَدَخَلَتْ وَاحِدَةٌ مِنْهَا فِي مَنْخَرِي الْمَلِكِ ، فَمَكَثَتْ فِي مَنْخَرَيْهِ أَرْبَعَمِائَةِ سَنَةٍ عَذَّبَهُ اللَّهُ تَعَالَى بِهَا فَكَانَ يَضْرِبُ رَأْسَهُ بِالْمَرَازِبِ فِي هَذِهِ الْمُدَّةِ كُلِّهَا حَتَّى أَهْلَكَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ بِهَا ، وَاللَّهُ تَعَالَى أَعْلَمُ } .

٣-وَقَالَ اللهُ تَعَالَى:{ هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى(١٥)إِذْ نَادَاهُ رَبُّهُ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى(١٦)اذْهَبْ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى

(١٧)فَقُلْ هَل لَّكَ إِلَى أَن تَزَكَّى(١٨)وَأَهْدِيَكَ إِلَى رَبِّكَ فَتَخْشَى(١٩)فَأَرَاهُ الآية الْكُبْرَى

(٢٠)فَكَذَّبَ وَعَصَى(٢١)ثُمَّ أَدْبَرَ يَسْعَى

(٢٢)فَحَشَرَ فَنَادَى(٢٣)فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الأَعْلَى(٢٤)فَأَخَذَهُ اللَّهُ نَكَالَ الآخرةِ وَالأُوْلَى(٢٥)إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِّمَن يَخْشَى }.(النّازعات:٢٦:١٥).

-فَهَذَا هُوَ فِرْعَوْنُ مِصْرَ أَهْلَكَهُ اللهُ تَعَالَى وَأغْرَقَهُ هُوَ وَجُنُودُهُ بِسَبَبِ مَنْطِقِ لِسَانِهِ عِنْدَمَا قَالَ:{ أنَا رَبُّكُمُ الْأعْلَى }.

٤-وَقَالَ تَعَالَى:{ إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ عَلَيْهِمْ ۖ وَآتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولِي الْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لَا تَفْرَحْ ۖ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ (٧٦)وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا ۖ وَأَحْسِن كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ ۖ وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ ۖ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ (٧٧)

قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِي ۚ أَوَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِن قَبْلِهِ مِنَ الْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا ۚ وَلَا يُسْأَلُ عَن ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ (٧٨) فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ ۖ قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا يَا لَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ (٧٩) وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِّمَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا وَلَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الصَّابِرُونَ(٨٠)فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُ مِن فِئَةٍ يَنصُرُونَهُ مِن دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُنتَصِرِينَ (٨١) وَأَصْبَحَ الَّذِينَ تَمَنَّوْا مَكَانَهُ بِالْأَمْسِ يَقُولُونَ وَيْكَأَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ ۖ لَوْلَا أَن مَّنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا ۖ وَيْكَأَنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ (٨٢) تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا ۚ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ }.(القصص:٨٣:٧٦).

-وَهَذّا قَارُونُ خَسَفَ اللهُ بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ بِسَبَبِ مَنطِقِ لِسَانِهِ عِنْدَمَا قَالَ:{.. إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِي..}فَكَانَتِ الْعَاقِبَةُ:{ فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُ مِن فِئَةٍ يَنصُرُونَهُ مِن دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُنتَصِرِينَ }.

٥–وَقَالَ اللهُ تَعَالَى:{ وَاضْرِبْ لهُمْ مَّثَلاً رَّجُلَيْنِ جَعَلْنَا لأحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَابٍ وَحَفَفْنَاهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا

(٣٢)كِلْتَا الْجَنَّتَيْنِ آتَتْ أُكُلَهَا وَلَمْ تَظْلِمِ مِّنْهُ شَيْئًا وَفَجَّرْنَا خِلالَهُمَا نَهَراً(٣٣)وَكَانَ لَهُ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَنَاْ أَكْثَرُ مِنكَ مَالاً وَأَعَزُّ نَفَراً(٣٤)وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ قَالَ مَآ أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَذِهِ أَبَداً

(٣٥)وَمَآ أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَى رَبِّي لأَجِدَنَّ خَيْراً مِّنْهَا مُنْقَلَباً(٣٦)قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذي خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّاكَ رَجُلاً(٣٧)لَّكِنَّ هُوَ اللَّهُ رَبِّي وَلاَ أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَدًا(٣٨)وَلَوْلا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَآءَ اللَّهُ لاَ قُوَّةَ إِلاَّ بِاللَّهِ إِن تَرَنِ أَنَاْ أَقَلَّ مِنكَ مَالاً وَوَلَدًا(٣٩)فعسَى رَبِّي أَن يُؤْتِيَنِي خَيْرًا مِّن جَنَّتِكَ وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِّنَ السَّمَآءِ فَتُصْبِحَ صَعِيدًا زَلَقًا(٤٠)أَوْ يُصْبِحَ مَآؤُهَا غَوْرًا فَلَن تَسْتَطِيعَ لَهُ طَلَبًا(٤١)

وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَى مَآ أَنْفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يا لَيْتَنِي لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّي أَحَدًا(٤٢)وَلَمْ تَكُن لَّهُ فِئَةٌ يَنصُرُونَهُ مِن دُونِ اللهِ وَمَا كَانَ مُنْتَصِراً(٤٣)هُنَالِكَ الْوَلايَةُ لِلَّهِ الْحَقِّ هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا وَخَيْرٌ عُقْبًا }.(الكهف:٣٢–٤٤).

–وَهَذَا صَاحِبُ الْجَنَّتَيْنِ أَهْلَكَ اللهُ جَنَّتَيْهِ بِسَبَبِ مَنْطِقِ لِسَانِهِ عِنْدَمَا قَالَ:{ وَكَانَ لَهُ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَنَاْ أَكْثَرُ مِنكَ مَالاً وَأَعَزُّ نَفَراً(٣٤)وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ قَالَ مَآ أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَذِهِ أَبَداً(٣٥) وَمَآ أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَى رَبِّي لأَجِدَنَّ خَيْراً مِّنْهَا مُنْقَلَباً }.فَكَانَتْ الْعَاقِبَةُ:{ وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَى مَآ أَنْفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يا لَيْتَنِي لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّي أَحَدًا(٤٢) وَلَمْ تَكُن لَّهُ فِئَةٌ يَنصُرُونَهُ مِن دُونِ اللهِ وَمَا كَانَ مُنْتَصِراً }.

٦-وَقَالَ تَعَالَى:{ إِنَّا بَلَوْنَاهُمْ كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُوا لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ (١٧)وَلَا يَسْتَثْنُونَ (١٨)فَطَافَ عَلَيْهَا طَائِفٌ مِّن رَّبِّكَ وَهُمْ نَائِمُونَ (١٩)

فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ (٢٠) فَتَنَادَوْا مُصْبِحِينَ (٢١) أَنِ اغْدُوا عَلَىٰ حَرْثِكُمْ إِن كُنتُمْ صَارِمِينَ (٢٢) فَانطَلَقُوا وَهُمْ يَتَخَافَتُونَ (٢٣) أَن لَّا يَدْخُلَنَّهَا الْيَوْمَ عَلَيْكُم مِّسْكِينٌ (٢٤) وَغَدَوْا عَلَىٰ حَرْدٍ قَادِرِينَ (٢٥) فَلَمَّا رَأَوْهَا قَالُوا إِنَّا لَضَالُّونَ (٢٦) بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ (٢٧) قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ (٢٨) قَالُوا سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ (٢٩) فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَلَاوَمُونَ (٣٠) قَالُوا يَا وَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا طَاغِينَ (٣١) عَسَىٰ رَبُّنَا أَن يُبْدِلَنَا خَيْرًا مِّنْهَا إِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا رَاغِبُونَ (٣٢) كَذَٰلِكَ الْعَذَابُ ۖ وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ ۚ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ }.(القلم:٣٣:١٧).

-وَهَؤُلَاءِ أصْحَابُ الْجَنَّةِ الْبُخَلَاءِ الَّذِينَ تَعَاهَدُوا بَعْدَ مَوْتِ أبِيهِم الصَّالِحِ عَلَى مَنْعِ الْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِين مِنْ حَقِّهِم فِي ثِمَارِ جَنَّتِهِمْ فَأَهْلَكَ اللهُ ثِمَارَهُمْ بِسَبَبِ مَنْطِقِ ألْسِنَتِهِمْ إذْ قَالُوا:{ فَتَنَادَوْا مُصْبِحِينَ (٢١) أَنِ اغْدُوا عَلَىٰ حَرْثِكُمْ إِن كُنتُمْ صَارِمِينَ (٢٢) فَانطَلَقُوا وَهُمْ يَتَخَافَتُونَ (٢٣) أَن لَّا يَدْخُلَنَّهَا الْيَوْمَ عَلَيْكُم مِّسْكِينٌ (٢٤) وَغَدَوْا عَلَىٰ حَرْدٍ قَادِرِينَ }.فَكَانَتِ الْعَاقِبَةُ:{ فَطَافَ عَلَيْهَا طَائِفٌ مِّن رَّبِّكَ وَهُمْ نَائِمُونَ (١٩) فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ }فَكَانَ النَّدَمُ حَيْثُ لَا يَنْفَعُ النَّدَمُ:{فَلَمَّا رَأَوْهَا قَالُوا إِنَّا لَضَالُّونَ (٢٦) بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ (٢٧) قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ (٢٨) قَالُوا سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ (٢٩) فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَلَاوَمُونَ (٣٠) قَالُوا يَا وَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا طَاغِينَ (٣١) عَسَىٰ رَبُّنَا أَن يُبْدِلَنَا خَيْرًا مِّنْهَا إِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا رَاغِبُونَ (٣٢) كَذَٰلِكَ الْعَذَابُ ۖ وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ ۚ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ }.

•وَفِيمَا أخْرَجَهُ الْإِمَامُ الْبُخَارِيُّ-رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى-فِي صَحِيحِهِ بِرَقْمِ(٦١٤٠)مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ-رَضِيَ اللهُ تَعَالَى-، عَنِ النَّبِيِّ-صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-قَالَ :{ إِنَّ العَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالكَلِمَةِ مِنْ رِضْوَانِ اللَّهِ

، لاَ يُلْقِي لَهَا بَالًا ، يَرْفَعُهُ اللَّهُ بِهَا دَرَجَاتٍ ، وَإِنَّ العَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالكَلِمَةِ مِنْ سَخَطِ اللَّهِ ، لاَ يُلْقِي لَهَا بَالًا ، يَهْوِي بِهَا فِي جَهَنَّمَ }.

-فَالصَّمْتُ وَالسُّكُوتُ عَنِ الشَّرِّ خَيْرُ تَطْبِيقٍ لِقَاعِدَةِ(الْوِقَايَة خَيْر مِنَ الْعِلَاجِ).

•وَيَنْبَغِي أنْ يُعرَفَ أنَّ الْكَلَامَ بِالْخَيْرِ، وَالأَمْرَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيَ عَنِ الْمُنْكرِ، وَإدْمانَ ذِكْرِ اللهِ بِكُلِّ أنْوَاعِهِ، وَتِلَاوَةَ الْقُرَآنِ أفْضَلُ مِنَ الصَّمْتِ؛لأنَّ الْكَلَامَ بِذَلِكَ غَنِيمَةٌ، وَالصَّمْتُ سَلَامَةٌ، وَالْغَنِيمَةُ فَوْقَ السَّلَامَةِ.



• مِنْ آثَارِ السَّلَفِ الصَّالِحِ:

-وَلَقَدْ طَبَّقَ السَّلَفُ الصَّالِحُ قَاعِدَةَ(الْوِقَايَة خَيْرٌ مِنَ الْعِلَاجِ)خَيْرَ تَطْبِيقٍ ،فَهَذَا هُوَ الْفَارُوقُ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ يَعْلَمُ بِانْتِشَارِ الْوَبَاءِ بِأَرْضِ الشَّامِ وَهُوَ فِي الطَّرِيقِ إلَيْهَا فَيَعُود إلَى الْمَدِينَةِ بِأصْحَابِهِ وَلَا يَقْدُمُ الشَّامَ.

-فَقَدْ أخْرَجَ الْإمَامُ الْبُخَارِيُّ-رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى-فِي صَحِيحِهِ-بِرَقْمِ(٥٧٢٩)مِنْ حَدِيث عَبْدِ اللهِ بْنِ عَبَّاسٍ-رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُمَا-:{ أَنَّ عُمَرَ بنَ الخَطَّابِ-رَضِيَ اللَّهُ عنْهُ-، خَرَجَ إلَى الشَّأْمِ، حَتَّى إذَا كَانَ بِسَرْغَ لَقِيَهُ أُمَرَاءُ الأجْنَادِ، أبُوعُبَيْدَةَ بنُ الجَرَّاحِ وأَصْحَابُهُ، فأخْبَرُوهُ أنَّ الوَبَاءَ قدْ وقَعَ بأَرْضِ الشَّأْمِ.

قَالَ ابنُ عَبَّاسٍ: فَقَالَ عُمَرُ: ادْعُ لِي الْمُهَاجِرِينَ الأوَّلِينَ،فَدَعَاهُمْ فَاسْتَشَارَهُمْ

،وَأَخْبَرَهُمْ أنَّ الوَبَاءَ قدْ وقَعَ بالشَّأْمِ، فَاخْتَلَفُوا، فَقَالَ بَعْضُهُمْ: قدْ خَرَجْتَ لأمْرٍ، وَلَا نَرَى أنْ تَرْجِعَ عَنْهُ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: مَعَكَ بَقِيَّةُ النَّاسِ وَأَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ-صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، وَلَا نَرَى أنْ

تُقْدِمَهُمْ عَلَى هَذَا الْوَبَاءِ، فَقَالَ: ارْتَفِعُوا عَنِّي، ثُمَّ قَالَ: ادْعُوا لِيَ الأَنْصَارَ، فَدَعَوْتُهُمْ فَاسْتَشَارَهُمْ،فَسَلَكُوا سَبِيلَ الْمُهَاجِرِينَ، واخْتَلَفُوا كَاخْتِلَافِهِمْ، فَقَالَ: ارْتَفِعُوا عَنِّي، ثُمَّ قَالَ: ادْعُ لِي مَنْ كَانَ هَا هُنَا مِنْ مَشْيَخَةِ قُرَيْشٍ مِن مُهَاجِرَةِ الفَتْحِ، فَدَعَوْتُهُمْ، فَلَمْ يَخْتَلِفْ مِنْهُمْ عَلَيْهِ رَجُلَانِ، فَقَالُوا: نَرَى أنْ تَرْجِعَ بالنَّاسِ ولَا تُقْدِمَهُمْ عَلَى هَذَا الْوَبَاءِ، فَنَادَى عُمَرُ فِي النَّاسِ: إنِّي مُصَبِّحٌ عَلَى ظَهْرٍ فَأَصْبِحُوا عليه. قَالَ أبُوعُبَيْدَةَ بنُ الجَرَّاحِ: أفِرَارًا مِن قَدَرِ اللَّهِ؟ فَقَالَ عُمَرُ: لو غَيْرُكَ قَالَهَا يا أبَا عُبَيْدَةَ؟ نَعَمْ نَفِرُّ مِن قَدَرِ اللَّهِ إلى قَدَرِ اللَّهِ، أرَأَيْتَ لو كانَ لكَ إبِلٌ هَبَطَتْ وادِيًا له عُدْوَتَانِ، إحْدَاهُما خَصِبَةٌ، والأُخْرَى جَدْبَةٌ، أليسَ إنْ رَعَيْتَ الخَصْبَةَ رَعَيْتَهَا بقَدَرِ اللَّهِ، وإنْ رَعَيْتَ الجَدْبَةَ رَعَيْتَهَا بقَدَرِ اللَّهِ؟ قَالَ: فَجَاءَ عبدُ الرَّحْمَنِ بنُ عَوْفٍ – وكانَ مُتَغَيِّبًا في بَعْضِ حَاجَتِهِ – فَقَالَ: إنَّ عِندِي فِي هَذَا عِلْمًا، سَمِعْتُ رَسولَ اللَّهِ–صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ –يَقُولُ: {إِذَا سَمِعْتُمْ بِهِ بِأَرْضٍ فَلَا تَقْدَمُوا عَلَيْهِ، وَإِذَا وَقَعَ بِأَرْضٍ وَأَنْتُمْ بِهَا فَلَا تَخْرُجُوا فِرَارًا مِنْهُ قَالَ: فَحَمِدَ اللَّهَ عُمَرُ ثُمَّ انْصَرَفَ }.

–وَفِي الْحَدِيثِ:أنَّ مِنْ هَدْيِهِ –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–عَدَمَ الْقُدُومِ عَلَى أرْضِ الْوَباءِ إذَا سُمِعَ بِهِ فِيهَا، وَألَّا يُخرَجَ مِنْهَا خَوْفًا مِنْهُ،وَفِي هَذَا تَطْبِيقٌ للحَجْرِ الصِّحِّيّ وَإِعْمَالٌ لِقَاعِدَةِ(الْوِقَايَة خَيْر مِنَ الْعِلَاجِ)فَوَجَبَ عَلَيْنَا تَطْبِيقُ هَذِهِ القَاعِدَةِ لِحِفْظِ أبْنَائنا مِنْ خَطَرِ الْإلْحَادِ بِتَعْلِيمِهِم الْعَقِيدَةِ الصَّحِيحَةِ وَحُسْنِ تَرْبِيَتِهِمْ.



(ب)الْوَقْفَةُ الثَّانِيَةُ:الْقُرْآنُ كِتَابُ هِدَايَةٍ:

-للآسَفِ هُنَاكَ مَقُولَةٌ خَاطِئَةٌ مَفَادُها:لَا تُنَاقِشُوا الْمُلْحِدِينَ بِالْقُرْآنِ بَلْ نَاقِشُوهُمْ بِالْعَقْلِ وَالْعِلْمِ وَكَأَنَّ الْقُرْآنَ لِيْسَ كِتَابَ عِلْمٍ وَهِدَايَةٍ،وَقَائِلُ هَذِهِ الْمَقُولَةِ لَا حَظَّ لَهُ مِنْ فَهْمِ الْقُرْآنِ،فَالْقُرْآنُ كِتَابُ هِدَايَةٍ وَعِلْمٍ وَمَا مِنْ شُبْهَةٍ إِلَّا وَرَدَّ عَلَيْهَا الْقُرْآنُ عَقْلِيًا وَعِلْمِيًا وَأَقَامَ الْحُجَّةَ وَبَيَّنَ الْمَحَجَّةَ.

-قَالَ اللَّهُ تَعَالَى:{الم (١) ذَٰلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ ۛ فِيهِ ۛ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ}.(البقرة:١-٢).

-فَقَوْلُهُ تَعَالَى:{ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ } الْهُدَى: مَا تَحْصُلُ بِهِ الْهِدِايَةُ مِنَ الضَّلَالَةِ وَالشُّبَهِ، وَمَا بِهِ الْهِدَايَةُ إِلَى سُلُوكِ الطُّرُقِ النَّافِعَةِ. وَقَالَ { هُدًى } وَحَذَفَ الْمَعْمُولَ، فَلَمْ يَقُلْ هُدًى للمَصْلَحَةِ الْفُلَانِيَّةِ، وَلَا للشَّيءِ الْفُلَانِيّ، لإِرَادَةِ الْعُمُومِ، وَأَنَّهُ هُدًى لِجَمِيعِ مَصَالِحِ الدَّارَينِ، فَهُوَ مُرْشِدٌ للعِبَادِ فِي الْمَسَائِلِ الْأُصُولِيَّةِ وَالْفُرُوعِيَّةِ، وَمُبَيِّنٌ للحَقِّ مِنَ الْبَاطِلِ، وَالصَّحِيحِ مِنَ الضَّعِيفِ، وَمُبَيِّنٌ لَهُمْ كَيْفَ يَسْلُكُونَ الطُّرُقَ النَّافِعَةَ لَهُمْ، فِي دُنْيَاهُمْ وَأُخْرَاهُمْ. وَقَالَ فِي مَوْضِعٍ آخَرَ:

{ هُدًى لِلنَّاسِ } فعَمَّمَ. وَفِي هَذَا الْمَوْضِعِ وَغَيْرِهِ {هُدًى لِلْمُتَّقِينَ} لأَنَّهُ فِي نَفْسِهِ هُدًى لِجَمِيعِ الْخَلْقِ.فَالْأَشْقِيَاءُ لَمْ يَرْفَعُوا بِهِ رَأسًا. وَلَمْ يَقْبَلُوا هُدَى اللَّهِ، فَقَامَتْ عَلَيْهِمْ بِهِ الْحُجَّةُ، وَلَمْ يَنْتَفِعُوا بِهِ لِشَقَائِهِمْ، وَأَمَّا الْمُتَّقُونَ الَّذِينَ أَتَوْا بِالسَّبَبِ الْأَكْبَرِ، لِحُصُولِ الْهِدَايَةِ،وَهُوَ التَّقْوَى الَّتِي حَقِيقَتُهَا : اتِّخَاذُ مَا يَقِي سَخَطَ اللَّهِ وَعَذَابَهُ، بِامْتِثَالِ أوَامِرِهِ، وَاجْتِنَابِ النَّوَاهِي، فَاهْتَدَوا بِهِ، وَانْتَفَعُوا غَايَةَ الانْتِفَاعِ. قَالَ تَعَالَى: { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا } فَالْمُتَّقُونَ هُمُ الْمُنْتَفِعُونَ بِالْآيَاتِ الْقُرْآنِيَّةِ، وَالْآيَاتِ الْكَوْنِيَّةِ. وَلأَنَّ الْهِدَايَةَ نَوْعَانِ: هِدَايَةُ الْبَيَانِ، وَهِدَايَةُ التَّوْفِيقِ. فَالْمُتَّقُونَ حَصَلَتْ لَهُمُ الْهِدَايَتَانِ، وَغَيْرُهُمْ لَمْ تَحْصُلْ لَهُمْ هِدَايَةُ التَّوْفِيقِ. وَهِدَايَةُ الْبَيَانِ بِدُونِ تَوْفِيقٍ للعَمَلِ بِهَا ، لَيْسَتْ هِدَايَةً حَقِيقِيَّةً تَامَّةً}.

-وَسُورَةُ الْإِسْرَاءِ نَمُوذَجٌ رَائِعٌ يُوَضِّحُ مَنْهَجِيَّةَ الْقُرْآنِ فِي التَّعَامُلِ مَعَ مَنْ يَكْفُرُ بِاللَّهِ، وَهُوَ نَمُوذَجٌ يَنْطَبِقُ عَلَى الْإِنْسَانِ فِي كُلِّ عَصْرٍ، وَيَصْلُحُ لِتَفْنِيدِ بَعْضِ الشُّبُهَاتِ الْمُعَاصِرَةِ الَّتِي يَطْرَحُهَا الْمُلْحِدُونَ الْيَوْمَ،

وَلِتَوْضِيحِ حَقَائِقِ إِيمَانِيَّةٍ يَنْبَغِي أَنْ يَنْتَبِهَ إِلَيْهَا الدُّعَاةُ، وَتَحْدِيدًا أولئِكَ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مُهِمَّةَ مُنَاقَشَةِ ظَاهِرَةِ الْإِلْحَادِ.

-يَبْدَأ النَّمُوذَجُ بِهَذِهِ الْآيَةِ مِنْ سُورَةِ الْإِسْرَاءِ: {وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِن كُلِّ مَثَلٍ فَأَبَى أَكْثَرُ النَّاسِ إِلاَّ كُفُورًا}.(الإسراء: ٨٩).

-تُؤسِّسُ هَذِهِ الْآيَةُ لِحَقِيقَةٍ أَسَاسِيَّةٍ يَجِبُ الانْتِبَاهُ إِلَيْهَا، وَهِيَ أَنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَحْوِي مِنَ الْبَرَاهِينِ مَا يَكْفِي لِمُخَاطَبَةِ الْجَاحِدِينَ بِاللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَمَنْ يَرْفُضُونَ اتِّبَاعَ دِينِهِ.

-وَمَهْمَا طَرَحْنَا مِنْ أَمْثِلَةٍ مُعَاصِرَةٍ لِلمُلْحِدِينَ أَوِ الرَّافِضِينَ للإِسْلَامِ، فَهِيَ تَعُودُ بِجُذُورِهَا إِلَى(نَمَاذِجِ الْحِجَاجِ) الْقُرْآنِيَّةِ، إِذْ كُلُّ مَا يُمْكِنُ أَنْ نَذْكُرَهُ بِخُصُوصِ حَقِيقَةِ الْإِنْسَانِ وَدَلَالَتِهَا عَلَى الْخَالِقِ وَرِعَايَتِهِ مُوَجَّهٌ إِلَيْهِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: {وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلا تُبْصِرُونَ}.(الذَّاريات: ٢١) وَمَا يُشْبِهُهُ.

-وَكُلُّ مَا يُمْكِنُ أَنْ نَذْكُرَهُ بِخُصُوصِ الْآيَاتِ الْكَوْنِيَّةِ وَدَلَالَتِهَا عَلَى الْخَالِقِ مُوَجَّهٌ إِلَيْهِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: {إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لآيَاتٍ لأُولِي الأَلْبَابِ}.(آل عمران: ١٩٠) وَمَا يُشْبِهُهُ.

-فَالْقُرْآنُ مَلِيءٌ بِتَوْجِيهِ النَّظَرِ إِلَى مَا يَسْتَثِيرُ الْعُقُولَ وَالْقُلُوبَ للإِقْرَارِ بِالْخَالِقِ وَالْخُضُوعِ لَهُ بِالْعِبَادَةِ.

-بَعْدَ أَنْ يُؤَكِّدَ السِّيَاقُ اكْتِفَاءَ الْقُرْآنِ بـ (نَمَاذِجِ الْحِجَاجِ)، يَتَطَرَّقُ إِلَى شُبْهَةِ الْجَاحِدِينَ بِاللَّهِ الَّتِي رُبَّمَا تَكُونُ الْأَكْثَرَ شُهْرَةً، وَالَّتِي لَا زَالَ الْمَلَاحِدَةُ يَجْتَرُّونَهَا حَتَّى يَوْمِنَا هَذَا،وَهِيَ شُبْهَةُ طَلَبِ الدَّلِيلِ الْحِسِّيِّ الْخَارِقِ الْوَاضِحِ عَلَى الْخَالِقِ وَعَلَى صِحَّةِ الرِّسَالَةِ:{وَقَالُواْ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الأَرْضِ يَنبُوعًا(٩٠)أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ الأَنْهَارَ خِلالَهَا تَفْجِيرًا

(٩١) أَوْ تُسْقِطَ السَّمَاء كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفًا أَوْ تَأْتِيَ بِاللّهِ وَالْمَلآئِكَةِ قَبِيلاً(٩٢) أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِّن زُخْرُفٍ أَوْ تَرْقَى فِي السَّمَاء وَلَن نُّؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّى تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَابًا نَّقْرَؤُهُ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنتُ إَلاَّ بَشَرًا رَّسُولاً}. (الإسراء: ٩٠-٩٣).

-لَوْ نَظَرْنَا إِلَى الْمُشْتَرَكِ بَيْنَ كُلِّ (طَلَبَاتِ) الْكُفَّارِ هَذِهِ لَوَجَدْنَا أَنَّهُ الْخَوَارِقُ الْحِسِّيَّةُ الْوَاضِحَةُ، فَكَيْفَ عَلَّمَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ رَسُولَهُ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-أَنْ يُجِيبَ؟ كَانَتِ الْإِجَابَةُ سَهْلَةً، وَلَكِنَّهَا فِي الْوَاقِعِ عَمِيقَةٌ وَتُؤسِّسُ لِفِكْرَةٍ غَايَة فِي الْعُمْقِ فِي أَسَاسِ التَّكْلِيفِ بِهَذَا الدِّينِ، قَالَ سُبْحَانَهُ:{قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنتُ إَلاَّ بَشَرًا رَّسُولاً}. وَهِيَ آيَةٌ تُؤَكِّدُ عَلَى أَنَّ الْوُصُولَ للحَقِّ لَا يَكُونُ إِلَّا بِالْأَدَوَاتِ الْبَشَرِيَّةِ.

-بَلْ يَزِيدُ السِّيَاقُ بَعْدَ ذَلِكَ:

{وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَن يُؤْمِنُواْ إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَى إِلاَّ أَن قَالُواْ أَبَعَثَ اللّهُ بَشَرًا رَّسُولاً(٩٤) قُل لَّوْ كَانَ فِي الأَرْضِ مَلآئِكَةٌ يَمْشُونَ مُطْمَئِنِّينَ لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِم مِّنَ السَّمَاء مَلَكًا رَّسُولاً}. (الإسراء: ٩٤-٩٥).

-تُؤَكِّدُ هَذِهِ الْآيَاتُ مَفْهُومًا أَسَاسِيًّا فِي التَّكْلِيفِ بِهَذَا الدِّينِ،وَهُوَ مَفْهُومُ(الابْتِلَاءِ)، أيْ الاخْتِبَار، وَالَّذِي لَا يَتِمُّ إِلَّا بِأَدَوَاتِ النَّوْعِ الْمُكَلَّفِ: فَالْبَشَرُ يُخْتَبَرُونَ بِأَدَوَاتِ الْبَشَرِ، وَالْمَلَائِكَةُ -لَوْ شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَخْتَبِرَهُمْ- بِأَدَوَاتِ الْمَلَائِكَةِ.

-لَقَدْ مَنَحَ اللَّهُ الْبَشَرَ الْعَقْلَ وَالْوَعْيَ وَالْإِرَادَةَ وَحُرِّيَةَ الاخْتِيَارِ، وَغَرَسَ فِي نُفُوسِهِمْ مُنْذُ لَحْظَةِ خَلْقِهِمْ فِطْرَةَ التَّوْحِيدِ:{فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ}.(الرُّوم: ٣٠).

وَأَرْسَلَ لَهُمْ رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ كَيْ لَا تَكُونَ لَهُمْ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسْلِ، ثُمَّ وَضَعَ لَهُمْ فِي الطَّرِيقِ مَا يُمْكِنُ أَنْ نُسَمِّيَهُ(مُنَغِّصَّاتِ الْوُصُولِ)؛ كَالشَّيْطَانِ وَالْأَهْوَاءِ وَالشَّهَوَاتِ وَاخْتِلَافِ الْعُقُولِ وَغَيْرِهَا.

•وَهُنا يَتَساءَلُ الْمُلْحِدُ: وَلِماذا وَضَعَ اللهُ هٰذا كُلَّهُ؟ أَلَمْ يَكُنْ قادِرًا –سُبْحانَه– عَلى تَمْهِيدِ الطَّرِيقِ لَهُمْ دُونَ تَكْليفِهِمْ عَناءَ الْبَحْثِ عَنِ الْحَقيقَةِ بِأَدَواتِهِمُ الْبَشَرِيَّةِ وَمُقاوَمَةِ الْأَهْواءِ وَالشَّيْطانِ؟

–بَلى هُوَ الْقادِرُ عَلى كُلِّ شَيْءٍ، وَلٰكِنْ شاءَ سُبْحانَهُ أَنْ يَكُونَ خَلْقُهُ عَلى هٰذِهِ الْهَيْئَةِ، وَهُوَ الْقائِلُ:{ لَا يُسْئَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْئَلُونَ }.(الْأَنْبِياء:٢٣).

–شاءَ سُبْحانَهُ أَنْ يَكُونَ الْابْتِلَاءُ–أَيْ الِاخْتِبارُ– جُزْءًا مِنْ خَلْقِ الْإِنْسانِ. وَمَنْ يُراجِعِ الْقُرْآنَ مِنْ أَوَّلِهِ إِلى آخِرِهِ سَيَجِدِ التَّأْكِيدَ الدَّائِمَ عَلى حَقيقَةِ الْابْتِلَاءِ هٰذِهِ؛ سَيَجِدُها فِي اخْتِبارِ آدَمَ وَحَوَّاءِ الْأَوَّلِ مَعَ الشَّجَرَةِ، ثُمَّ سَيَجِدُها فِي ابْتِلَاءِ إِبْراهِيمَ، ثُمَّ فِي ابْتِلَاءِ جُنْدِ طالُوتَ، ثُمَّ فِي ابْتِلَاءِ تَحْوِيلِ الْقِبْلَةِ، ثُمَّ فِي ابْتِلَاءِ مَعْرَكَةِ أُحُدٍ، وَغَيْرِها وَغَيْرِها مِنْ نَماذِجِ الْابْتِلَاءِ.

–وَسَنَجِدُ تَأْكِيدَ حَقِيقَةِ الِابْتِلَاءِ هٰذِهِ مُطْلَقًا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى:{ إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا }.(الْإِنْسَان:٢).

–نَبْتَلِيهِ: أَيْ نَخْتَبِرُهُ، وَلَعَلَّ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى { فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا } إِشَارَةً إِلَى بَعْضِ أَدَوَاتِ التَّعَامُلِ مَعَ الِابْتِلَاءِ، فَهٰذَا الْإِنْسَانُ سَمِيعٌ؛ يَسْتَمِعُ إِلَى رِسَالَاتِ رَبِّهِ عَلَى لِسَانِ رُسُلِهِ.

–وَهُوَ بَصِيرٌ؛ يَرَى آيَاتِ اللهِ فِي الْأَنْفُسِ وَالْآفَاقِ. فَهُوَ مُزَوَّدٌ بِأَدَوَاتِ اجْتِيَازِ الِاخْتِبَارِ، وَلٰكِنَّهُ اجْتِيَازٌ يَحْتَاجُ إِلَى جُهْدٍ، يَحْتَاجُ إِلَى إِرَادَةٍ لِيَكُونَ الِاخْتِيَارُ هُوَ اخْتِيَارَ الْحَقِّ، وَيَحْتَاجُ إِلَى مُقَاوَمَةِ غَوَايَةِ الشَّيْطَانِ وَضَبْطِ شَهَوَاتِ الدُّنْيَا، وَإِلَى التَّعَبُّدِ لِلَّهِ لِيَثْبُتَ الْإِيمَانُ فِي الْقَلْبِ؛ لِيَكُونَ الْوُصُولُ إِلَى جَنَّاتِ النَّعِيمِ ثَمَرَةَ جُهْدِ هٰذَا الْكَائِنِ الَّذِي كَرَّمَهُ اللهُ وَمَنَحَهُ مَا لَمْ يَمْنَحْ أَحَدًا مِنْ خَلْقِهِ.. وَهَلْ يَتَوَقَّعُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُكَرَّمَ هٰذَا التَّكْرِيمَ وَيُمْنَحَ الْإِرَادَةَ وَحُرِّيَّةَ الِاخْتِيَارِ دُونَ أَنْ يَكُونَ لَهَا ضَرِيبَةٌ مِنَ الْجُهْدِ؟

–فِي هذِهِ الحَالَةِ سَيَسِيرُ الجَمِيعُ نَحْوَ مَصِيرٍ وَاحِدٍ،سَيَكُونُ الجَمِيعُ حِينَئِذٍ مَقْهُورًا عَلَى طَرِيقِ الهِدَايَةِ، وَلَنْ تَكُونَ هُنَاكَ قِيمَةٌ لِلْعَقْلِ وَحُرِّيَّةِ الِاخْتِيَارِ الَّتِي تَمَيَّزَ بِهَا الإِنسَانُ عَنْ بَقِيَّةِ المَخْلُوقَاتِ؛ لِأَنَّ حُرِّيَّةَ الِاخْتِيَارِ

تَعْنِي أَنَّ هُنَاكَ عِدَّةَ اخْتِيَارَاتٍ يَنْبَغِي (الاجْتِهَادُ) لِلاِخْتِيَارِ مِنْ بَيْنِهَا، أَمَّا إِذَا كَانَ الجَمِيعُ سَيَخْتَارُونَ الشَّيْءَ ذَاتَهُ فَهُمْ مَقْهُورُونَ وَلَيْسُوا مُخْتَارِينَ!

–الحَيَاةُ الدُّنْيَا (اخْتِبَارٌ) كَمَا أَخْبَرَنَا اللهُ سُبْحَانَهُ: { الَّذِي خَلَقَ المَوْتَ وَالحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ العَزِيزُ الغَفُورُ }.(المُلْك:٢). وَلَا قِيمَةَ لِـ { أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا } لَوْ كُنَّا جَمِيعًا سَنَقُومُ بِنَفْسِ العَمَلِ!

–إِنَّ تَكْرِيمَ اللهِ لَنَا وَتَشْرِيفَنَا بِالعَقْلِ وَالحُرِّيَّةِ وَالإِرَادَةِ هُوَ الَّذِي جَعَلَ وُجُودَ هذِهِ الأُمُورِ الَّتِي تَبْدُو لَنَا شُرُورًا وَصُعُوبَاتٍ أَمْرًا ضَرُورِيًّا، وَلَوْلَاهَا لَمْ تَكُنْ هُنَاكَ قِيمَةٌ لِلْحِسَابِ وَالجَزَاءِ وَالجَنَّةِ وَالنَّارِ.

–هَلْ سَمِعْتُمْ عَنْ مُعَلِّمٍ يُجْرِي لِطَلَبَةِ الرِّيَاضِيَّاتِ المُتَفَوِّقِينَ اخْتِبَارًا فِي حَلِّ ١+١؟ هَلْ سَيَكُونُ حِينَذَاكَ اخْتِبَارًا حَقِيقِيًّا؟!

–وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَى، فَإِنَّ مَا يَطْلُبُهُ هَؤُلَاءِ الْكُفَّارُ فِي نُمُوذَجِ آيَاتِ الْإِسْرَاءِ (٩٠–٩٣) أُمُورٌ لَوْ تَحَقَّقَتْ لَهُمْ لَبَطُلَ مَعْنَى الِاخْتِبَارِ الَّذِي كَانَ غَايَةً فِي خَلْقِ الْإِنْسَانِ!

–ثُمَّ تَأْتِي الْآيَةُ الْمَرْهَمُ، الْآيَةُ الْمُطَمْئِنَةُ لِلرَّسُولِ وَلَنَا جَمِيعًا، إِذْ يَقُولُ لَهُ رَبُّنَا جَلَّ جَلَالُهُ:{ قُلْ كَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ ۚ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا }.(الإسراء:٩٦).

–وَكَأَنَّ اللَّهَ جَلَّ جَلَالُهُ يُخْبِرُهُ بِأَلَّا يَقْلَقَ، فَالْقَضِيَّةُ عِنْدَهُ سُبْحَانَهُ، وَهُوَ بِعِبَادِهِ خَبِيرٌ بَصِيرٌ. يَعْلَمُ سُبْحَانَهُ أَنَّهُ إِنَّمَا وَضَعَ فِيهِمْ وَسَائِلَ الْهُدَى بِأَدَوَاتِهِمُ الْبَشَرِيَّةِ، وَأَنَّ كُلَّ مَا يَطْلُبُونَهُ فِي هَذِهِ الدَّعَاوَى إِنَّمَا هُوَ بَاطِلٌ لَا حُجَّةَ فِيهِ.

–وَهِيَ رِسَالَةٌ مُنَاسِبَةٌ لِكُلِّ مُسْلِمٍ غَيُورٍ عَلَى دِينِهِ يَتَكَلَّفُ فَوْقَ مَا يَنْبَغِي أَحْيَانًا فِي مُنَاقَشَةِ الْمُلْحِدِينَ، وَيُحَاوِلُ أَنْ يُظْهِرَ لَهُمْ بِأَنَّ الْإِيمَانَ بِوُجُودِ اللَّهِ هُوَ شَيْءٌ عَقْلِيٌّ بَحْتٌ وَسَهْلٌ جِدًّا مِثْلَ ١+١، وَأَنَّهُ يَلْزَمُهُمُ الْإِيمَانُ بِذَلِكَ حَتْمًا!

-وَالْأَمْرُ لَيْسَ كَذَٰلِكَ، فَحَقَائِقُ الْإِيمَانِ لَيْسَتْ مُعَادَلَاتٍ رِيَاضِيَّةً حَتْمِيَّةَ النَّتَائِجِ، وَهَؤُلَاءِ الْبَشَرُ لَيْسُوا حَوَاسِيبَ تُدْخَلُ إِلَيْهِمْ تِلْكَ الْبَيَانَاتُ فَيُصْبِحُوا مُؤْمِنِينَ بِالضَّرُورَةِ: { لَّيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ }.(الْبَقَرَةُ: ٢٧٢).

-يَقُولُ سُبْحَانَهُ: { إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ (٦) خَتَمَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ وَعَلَىٰ أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ }.(الْبَقَرَةُ: ٦-٧).

-فَلِأَيِّ سَبَبٍ كَانَ هَذَا الْخَتْمُ؟.

-الْقُرْآنُ يُؤَكِّدُ أَنَّ أَسَاسَ الضَّلَالِ هُوَ التَّكَبُّرُ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ: { سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَإِن يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لَّا يُؤْمِنُوا بِهَا وَإِن يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِن يَرَوْا سَبِيلَ الْغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ }.(الْأَعْرَافُ: ١٤٦).

-فَالْقُرْآنُ يُؤَكِّدُ:

{ وَإِن يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لَّا يُؤْمِنُوا بِهَا }. وَفِي آيَةٍ سَابِقَةٍ مِنْ سُورَةِ الْإِسْرَاءِ يَتَّضِحُ السَّبَبُ وَرَاءَ عَدَمِ إِنْزَالِ مِثْلِ تِلْكَ الْآيَاتِ الْوَاضِحَةِ الَّتِي يُطَالِبُ بِهَا هَؤُلَاءِ الْكُفَّارُ:{ وَمَا مَنَعَنَا أَن نُّرْسِلَ بِالْآيَاتِ إِلَّا أَن كَذَّبَ بِهَا الْأَوَّلُونَ وَآتَيْنَا ثَمُودَ النَّاقَةَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُوا بِهَا وَمَا نُرْسِلُ بِالْآيَاتِ إِلَّا تَخْوِيفًا }. (الْإِسْرَاءُ: ٥٩).

-وَهَذِهِ الْآيَاتُ عَلَىٰ أَيَّةِ حَالٍ كَانَتْ لِلتَّخْوِيفِ كَمَا يُوَضِّحُ بِجَلَاءٍ { وَمَا نُرْسِلُ بِالْآيَاتِ إِلَّا تَخْوِيفًا }، أَمَّا أَسْبَابُ الْهِدَايَةِ الْكَافِيَةُ فَهِيَ مُتَوَفِّرَةٌ لِلْإِنْسَانِ حَتَّىٰ بِدُونِ تِلْكَ الْأَدِلَّةِ الْحِسِّيَّةِ الْوَاضِحَةِ؛ فَالْإِنْسَانُ مُزَوَّدٌ بِالْهُدَى الرَّبَّانِيِّ الَّذِي جَاءَتْ بِهِ الرِّسَالَاتُ، وَبِكَوْنِهِ مَفْطُورًا عَلَى التَّوْحِيدِ، وَبِالْعَقْلِ وَالْوَعْيِ وَحُرِّيَّةِ الِاخْتِيَارِ.

-فِي سِيَاقٍ آخَرَ فِي سُورَةِ النَّمْلِ، فِي قِصَّةِ مُوسَىٰ تَحْدِيدًا، يَأْتِي نَمُوذَجٌ آخَرُ يُؤَكِّدُ عَلَىٰ أَنَّ أَسْبَابَ الضَّلَالِ هِيَ أَسْبَابٌ نَفْسِيَّةٌ، فَفَسَادُ الْقُلُوبِ هُوَ الْمَانِعُ الْأَوَّلُ لِلْهِدَايَةِ، حَتَّىٰ مَعَ وُجُودِ الْأَدِلَّةِ الْحِسِّيَّةِ الْوَاضِحَةِ، بَلْ حَتَّىٰ مَعَ اقْتِنَاعِ أُولَٰئِكَ الْكُفَّارِ بِصِحَّةِ دَعْوَةِ مُوسَىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ:

{ وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ فِي تِسْعِ آيَاتٍ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ (١٢) فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ آيَاتُنَا مُبْصِرَةً قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ (١٣)وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ }.(النَّمْلُ: ١٢-١٤).

-ثُمَّ يَنْتَهِي السِّيَاقُ فِي سُورَةِ الإِسْرَاءِ بِهَذِهِ الآيَاتِ:{ وَمَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ، وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِهِ، وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا، مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ، كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَاهُمْ سَعِيرًا (٩٧) ذَلِكَ جَزَاؤُهُمْ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا، وَقَالُوا أَئِذَا كُنَّا عِظَامًا وَرُفَاتًا أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا (٩٨) أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ، وَجَعَلَ لَهُمْ أَجَلًا لَا رَيْبَ فِيهِ، فَأَبَى الظَّالِمُونَ إِلَّا كُفُورًا }. (الإِسْرَاء: ٩٧-٩٩).

-وَلَعَلَّ مُتَشَكِّكًا يَقُولُ: إِذَا كَانَ أَمْرُ الْهِدَايَةِ بِيَدِ اللَّهِ، فَهِيَ إِذًا جَبْرِيَّةٌ وَلَا خِيَارَ لِلْإِنْسَانِ فِيهَا!

-وَلَكِنَّ الْقُرْآنَ مَلِيءٌ بِمَا يَدْحَضُ هَذَا الْوَهْمَ

،وَهِدَايَةُ اللَّهِ أَوْ إِضْلَالُهُ إِنَّمَا هِيَ بِسَبَبِ مَا فِي تِلْكَ النُّفُوسِ مِنْ إِرَادَةِ الْحَقِّ وَالسَّعْيِ إِلَيْهِ، أَوْ إِرَادَةِ الْبَاطِلِ وَالِاسْتِكْبَارِ فِي الْأَرْضِ.

أَيْ إِنَّ الإِضْلَالَ مِنَ اللَّهِ هُنَا يَكُونُ بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُ الْبَشَرِ بِاخْتِيَارِهَا الْحُرِّ، وَالْقُرْآنُ يُؤَكِّدُ عَلَى هَذَا الْمَعْنَى فِي آيَاتٍ عَدِيدَةٍ:{ كَيْفَ يَهْدِي اللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ، وَشَهِدُوا أَنَّ الرَّسُولَ حَقٌّ، وَجَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ، وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ }.(آلُ عِمْرَان:٨٦).

-وَاللَّهُ عَادِلٌ لَا يَظْلِمُ:{ مَثَلُ مَا يُنْفِقُونَ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ أَصَابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ، فَأَهْلَكَتْهُ، وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ، وَلَكِنْ أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ }.(آلُ عِمْرَان:١١٧).

-وَالْقُرْآنُ يُؤَكِّدُ عَلَى مَسْؤُولِيَّةِ الإِنْسَانِ عَنْ مَصِيرِهِ فِي الآخِرَةِ:{ ذَلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ، وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ }.(آلُ عِمْرَان: ١٨٢).

-وَهَكَذَا، يُقَدِّمُ لَنَا سِيَاقُ الآيَاتِ فِي سُورَةِ الإِسْرَاءِ (٨٩-٩٩) تَفْنِيدًا رَاسِخًا لِإِحْدَى أَبْرَزِ دَعَاوَى الإِلْحَادِ، بَدْءًا بِالْمُطَالَبَةِ بِالأَدِلَّةِ الْحِسِّيَّةِ السَّهْلَةِ، وُصُولًا إِلَى التَّشْكِيكِ بِالْهَدَفِ مِنْ وُجُودِ تِلْكَ (الْحَوَاجِزِ) الَّتِي تَقِفُ بَيْنَ الإِنْسَانِ وَالإِيمَانِ بِاللَّهِ.

-غَيْرَ أَنَّ الْمَشْهَدَ لَا يَكْتَمِلُ إِلَّا إِذَا عَلِمْنَا أَنَّ اللَّهَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ بِنَا،يَعْلَمُ ضَعْفَنَا كَبَشَرٍ، فَيَسَّرَ لَنَا وَسَائِلَ الْهِدَايَةِ بَعْدَ أَنْ أَرْشَدَ إِلَيْهَا:{ يُرِيدُ اللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ، وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ، وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ، وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (٢٦) وَاللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ، وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَنْ تَمِيلُوا مَيْلًا عَظِيمًا (٢٧) يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ، وَخُلِقَ الإِنْسَانُ ضَعِيفًا }. (النِّسَاء:٢٦-٢٨).

-قَضَى سُبْحَانَهُ أَنَّ مُضِيَّ الإِنْسَانِ فِي دَرْبِ الْهِدَايَةِ يُمَهِّدُ لَهُ السَّيْرَ وَالارْتِقَاءَ فِيهَا:{ وَإِنِ اقْتَرَبَ إِلَيَّ شِبْرًا، تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ ذِرَاعًا. وَإِنِ اقْتَرَبَ إِلَيَّ ذِرَاعًا، اقْتَرَبْتُ إِلَيْهِ بَاعًا. وَإِنْ أَتَانِي يَمْشِي، أَتَيْتُهُ هَرْوَلَةً }.(صَحِيحُ مُسْلِمٍ).

-وَمَتَى أَلْقَى الْكَافِرُ عَنْ عَقْلِهِ وَقَلْبِهِ أَغْلَالَ الِاسْتِكْبَارِ، وَخَفَقَتْ حَقِيقَةُ الإِيمَانِ فِي قَلْبِهِ، وَخَضَعَ لِلَّهِ الْعَزِيزِ الْقَهَّارِ، مُتَذَلِّلًا عَلَى أَعْتَابِهِ، رَاجِيًا مِنْهُ الْهِدَايَةَ؛ إِلَّا وَقَدْ أَخَذَ اللَّهُ بِيَدِهِ إِلَى النُّورِ، قَالَ سُبْحَانَهُ:{ اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا، يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ، وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ، يُخْرِجُونَهُمْ مِنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ، أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ، هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ }.(الْبَقَرَة: ٢٥٧).

-فَلَيْسَ الإِيمَانُ مُعَادَلَةً رِيَاضِيَّةً تَقْتَنِعُ بِهَا الْعُقُولُ فَتَلْتَزِمَهَا، وَإِنَّمَا هُوَ حَقِيقَةٌ نَفْسِيَّةٌ يُوَفِّقُ اللَّهُ إِلَيْهَا مَنْ اسْتَجَابَ لِنِدَاءِ الْعَقْلِ وَالْفِطْرَةِ، وَلَمْ يَطْمِسْهَا بِاتِّبَاعِ الْهَوَى وَالشَّهَوَاتِ، وَهَلْ يَرُدُّ اللَّهُ إِنْسَانًا سَارَ عَلَى دَرْبِ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَمَضَى يَبْحَثُ عَنِ اللَّهِ؟{ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي، فَإِنِّي قَرِيبٌ، أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ، فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي، وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ }.(الْبَقَرَة: ١٨٦).

-وَإِذَا لَمْ يُؤْمِنِ الْمُلْحِدُ بَعْدَ الإِتْيَانِ بِكُلِّ الأَدِلَّةِ وَالْبَرَاهِينِ؟

-الْقُرْآنُ يُخْبِرُكَ بِأَنَّهُ لَيْسَ مِنْ وَظِيفَتِكَ قَهْرُهُمْ عَلَى الْهِدَايَةِ، وَيُحَرِّرُكَ مِنْ شُعُورِ الْحَسْرَةِ:{ أَفَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ، فَرَآهُ حَسَنًا، فَإِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ، وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ، فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَاتٍ، إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَصْنَعُونَ }.(فَاطِر:٨).

-فَلَمْ تُكَلَّفْ بِإِجْبَارِ الْبَشَرِ عَلَى الْهِدَايَةِ، وَإِنَّمَا كُلِّفْتَ بِالْبَلَاغِ الْمُبِينِ، وَبِجِدَالِهِمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ. (انظُرْ: الْقُرْآنُ فِي مُوَاجَهَةِ الإِلْحَادِ لِ"شَرِيفٍ مُحَمَّدٍ جَابِرٍ" بِتصَرُّفٍ).

• مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كُلِّهِ يَجِبُ أَنْ نَتَحَرَّكَ لِمُقَاوَمَةِ الْإِلْحَادِ عَلَى بَصِيرَةٍ وَهُدًى، وَلَا يَنْبَغِي بِأَيِّ حَالٍ أَنْ نَغْفُلَ عَنْ دَوْرِ التَّرْبِيَةِ الْمُتَضَامِنَةِ بَيْنَ الْأُسْرَةِ وَالْمَدْرَسَةِ ،

وَالْمَسْجِدِ، وَوَسَائِلِ الْإِعْلَامِ، وَرِعَايَةِ الشَّبَابِ

،وَالْأَنْدِيَةِ الثَّقَافِيَّةِ، إِذْ أَنَّ الْإِلْحَادَ ظَاهِرَةٌ مُنْتَشِرَةٌ فِي الْغَرْبِ وَسَتَنْتَقِلُ إِلَيْنَا ضِمْنَ مَا نَسْتَوْرِدُهُ مِنْ هُنَاكَ، وَمَا لَمْ يَكُنْ لَدَيْنَا حُلُولٌ وِقَائِيَّةٌ فَلَنْ نَسْتَطِيعَ أَنْ نُقَاوِمَهُ بِكَفَاءَةٍ، مَهْمَا كَانَ لَدَيْنَا مِنْ تَدَيُّنٍ وَأُنَاسٍ صَالِحِينَ. إِنَّ تَشَرُّبَ شَبَابِنَا لِأَخْلَاقِ الْغَرْبِ وَلِبَاسِهِمْ وَطَرِيقَةِ عَيْشِهِمْ سَوْفَ تُصَاحِبُهَا مُعْتَقَدَاتُهُمْ وَأَفْكَارُهُمْ، وَنَحْنُ -بِحَمْدِ اللهِ- نَمْتَلِكُ أَعْظَمَ دِينٍ يُمْكِنُ أَنْ يُجِيبَ عَلَى التَّسَاؤُلَاتِ الَّتِي أَشْغَلَتِ الْإِنْسَانِيَّةَ وَحَارَتْ فِيهَا طَوِيلًا، وَلَا يَنْقُصُنَا عُلَمَاءُ وَلَا دُعَاةٌ وَلَا مُفَكِّرُونَ، وَإِنَّمَا يَنْقُصُنَا النِّيَّةُ الصَّادِقَةُ وَالتَّخْطِيطُ وَتَغْلِيبُ مَصْلَحَةِ الْإِسْلَامِ وَالْمُسْلِمِينَ عَلَى الْمَصَالِحِ الشَّخْصِيَّةِ،

وَاللهُ الْهَادِي وَالْمُوَفِّقُ إِلَى سَوَاءِ السَّبِيلِ، وَلِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ.

• اَللَّهُمَّ احْفَظْ أَبْنَاءَنَا وَبَنَاتِنَا مِنْ مُضِلَّاتِ الْفِتَنِ، مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ، وَاجْعَلْهُمْ صَالِحِينَ مُصْلِحِينَ، وَفَرِّجْ كَرْبَ الْمُسْتَضْعَفِينَ الْمُوَحِّدِينَ، وَاجْعَلْ بِلَادَ الْإِسْلَامِ أَمْنًا أَمَانًا، وَآخِرُ دَعْوَانَا أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ.

تمت الرسالة ولله الحمد والمنة

مع تحيات موسوعة اعرف دينك للعلوم الشرعية

